جامعة الوصل
ALWASL UNIVERSITY

دولة الإمارات العربية المتحدة
جامعة الوصل – دبي
كلية الدراسات الإسلامية

مجلة المؤيل

متخصصة في الدراسات الإسلامية
مجلة علمية محكمة سنوية

العدد الثاني
1445 هـ - 2023 م

دولة الإمارات العربية المتحدة
جامعة الوصل – دبي
كلية الدراسات الإسلامية

مجلة الموئل

متخصصة في الدراسات الإسلامية

مجلة علمية محكمة سنوية

1445 هـ – 2023 م

ISSN: 3005 - 4044

المشرف العام

أ. د. خالد توكال

نائب مدير جامعة الوصل لشؤون البحث العلمي

رئيس التحرير

أ. د. زياد علي دايح الفهداوي

نائب رئيس التحرير

أ. د. حمزة المليباري

أمين التحرير

د. عماد التميمي

هيئة التحرير

د. شريف عبد العليم

أ. صالح العزام

جامعة الوصل في سطور

«جامعة الوصل» مؤسسة جامعية من مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي في الدولة، وقد تحوّلت بموجب قرار وزاري رقم (١٠٧) لعام ٢٠١٩، من «كلية الدراسات الإسلامية والعربية» – الاسم السابق – إلى: جامعة الوصل.

وقد مرت الجامعة بمرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى:

نشأت النواة الأساسية للجامعة سنة ١٩٨٦–١٩٨٧م بمسمى «كلية الدراسات الإسلامية والعربية»، عند تأسيسها من السيد جمعة الماجد وتعهدها بالإشراف والرعاية مع فئة مخلصة من أبناء هذا البلد آمنت بفضل العلم وشرف التعليم.

- رعت حكومة دبي هذه الخطوة المباركة وجسّدها قرار مجلس الأمناء الصادر في عام ١٤٠٧هـ الموافق العام الجامعي ١٩٨٦ / ١٩٨٧م.
- وبتاريخ ٢ / ٤ / ١٤١٤هـ الموافق ١٨ / ٩ / ١٩٩٣م أصدر معالي سموّ الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي في دولة الإمارات القرار رقم (٥٣) لسنة ١٩٩٣م بالترخيص لها بالعمل في مجال التعليم العالي.

١- برامج البكالوريوس:

- صدر القرار رقم (٧٧) لسنة ١٩٩٤م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية والعربية بالدرجة الجامعية الأولى في الدراسات الإسلامية.
- ثم صدر القرار رقم (٥٥) لسنة ١٩٩٧م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في اللغة العربية الممنوحة بالدرجة الجامعية الأولى في هذا التخصص.
- اُعتمد برنامج بكالوريوس علوم المكتبات والمعلومات عام ٢٠٢٠.
- احتفلت بتخريج الرعيل الأول من طلابها في ٢٣ شعبان ١٤١٢هـ الموافق ٢٦ / ١٢ / ١٩٩٢م تحت رعاية صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رحمه الله.
- واحتفلت بتخريج الدفعة الثانية من طلابها والأولى من طالباتها في ٢٩ / ١٠ / ١٤١٣هـ الموافق ٢١ / ٤ / ١٩٩٣م.
- تخرج منذ تأسيسها في العام الجامعي الأول في ١٤٠٦ / ١٤٠٧ هـ الموافق ١٩٨٦ / ١٩٨٧م إلى نهاية عام ٢٠٢٢–٢٠٢٣ (١٢٨٩٧)؛ منهم (١٠٢٤٩) طالبة و (٢٦٤٨) طالبًا.
- تخرج فيها حتى يونيه ٢٠٢٣ (٣٣) دفعة من الطلاب، (٣٢) دفعة من الطالبات في تخصص الدراسات الإسلامية (١٦) دفعة من الطلاب، (٢٥) دفعة من الطالبات في تخصص اللغة العربية.

٢- برامج الدراسات العليا:

- أنشئ برنامج الدراسات العليا بها في العام الجامعي ١٩٩٥ / ١٩٩٦م يخوّل للملتحقين به الحصول على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية واللغة العربية وآدابها، وشرع في برنامج الدكتوراه بدءًا من العام ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥م.
- اعتمدت بدءاً من العام ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ برنامج الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها في شعبتي الأدب والنقد واللغة والنحو.
- وفي ٢٤ / ٢ / ٢٠١٧، يعلن مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف والهبة، عن منحها علامة دبي للوقف.

أعيد اعتماد برامج الماجستير والدكتوراه؛ فصارت الجامعة تمنح:

- درجة الماجستير في الدراسات الأدبية والنقدية.
- درجة الماجستير في الدراسات اللغوية.
- درجة الماجستير في الفقه وأصوله.
- درجة الدكتوراه في الفلسفة في الفقه وأصوله.
- درجة الدكتوراه في الفلسفة في الدراسات الأدبية والنقدية.
- درجة الدكتوراه في الفلسفة في الدراسات اللسانية.
- بلغ المجموع الكلي للخريجين والخريجات في الدراسات العليا الي تاريخ صدور العدد، إلى جامعة (٣٢٥) طالبًا؛ منهن (٢٢٠) خريجا بشهادة الماجستير و (١٠٥) خريجا بشهادة الدكتوراه.

المرحلة الثانية: تطورت من (كلية الدراسات الإسلامية والعربية) بقرار وزاري رقم ١٠٧ لعام ٢٠١٩، إلى (جامعة الوصل)، لتحمل عدة مُسْتجدات في:

الرؤية:

تطمح جامعة الوصل إلى أن تكون لبرامجها وقدراتها البحثية الصدارة إقليميًّا ودوليًّا.

الرسالة:

تقديم برامج غير ربحية ذات جودة عالية في البكالوريوس والدراسات العليا؛ لتأهيل كوادر متخصصة لسوق العمل المحلي والإقليمي، وتعزيز القدرات البحثية وتطوير التفكير الإبداعي وتنمية الشراكة المجتمعية في بيئة جامعية تتسم بالأصالة والحداثة والابتكار.

مجلس الأمناء:

يقوم مجلس الأمناء بالإشراف على الشؤون العامة للجامعة وتوجيهها لتحقيق أهدافها، ويضم المجلس إضافة إلى رئيسه (مؤسس الجامعة) عدداً من الشخصيات المتميزة التي تجمع بين العلم والمعرفة والرأي والخبرة، ممن يمثلون الفعاليات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

كليات الجامعة: تشمل الجامعة الأتية:

- كلية الدراسات الإسلامية.
- كلية الآداب.
- كلية الإدارة.

نظام الدراسة:

- مدة الدراسة للحصول على درجة الإجازة (البكالوريوس) أربع سنوات لحاملي الشهادة الثانوية الشرعية أو الثانوية العامة بفرعيها: العلمي والأدبي أو ما يعادلهما.
- تقوم الدراسة في الجامعة على أساس النظام الفصلي وقد طُبق منذ العام الجامعي ٢٠٠١ / ٢٠٠٢، ثم تحول إلى نظام الساعات المعتمدة منذ العام الجامعي ٢٠٢١ / ٢٠٢٢.
- يلتزم الطالب بالحضور ومتابعة الدروس والبحوث المقرّرة.
- نظام الدراسة في الدراسات العليا، ومدة برنامج الماجستير سنتان والدكتوراه ثلاث سنوات، مع سنة تمهيدية متضمنة في كليهما.

البحث العلمي والخدمة المجتمعية: يهتم البحث العلمي بعدد من المحاور منها:

١– المؤتمرات: تقيم الجامعة عددًا من المؤتمرات العلمية المحكمة سنويًّا منها:

- ندوة علمية دولية في الحديث الشريف كل سنتين، وقد كانت ندوتها الحادية عشرة في مارس ٢٠٢٣.
- مؤتمر اللغة العربية الدولي، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الأول في ٢٠٢٠.
- مؤتمر الدراسات الإسلامية الدولي، ويقام كل سنتين.
- المؤتمر الدولي للدراسات العليا والبحث العلمي، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الأول في ٢٠١٩.
- المؤتمر الدولي للسانيات، يقام كل عامين، عقدت النسخة الثانية عام ٢٠٢٣.
- المؤتمر الدولي للسرديات، يقام كل عامين، عقدت النسخة الأولى في مارس ٢٠٢٢.

٢– المجلات المحكمة: تصدر جامعة الوصل ثلاث مجلات علمية محكمة، وهي:

- مجلة جامعة الوصل، تصدر مرتين كل عام.
- مجلة فكر ومعرفة، تصدر عن كلية الآداب مرة في العام.
- مجلة الموئل، تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية، مرة في العام.

٣– الكتاب العلمي: تصدر الجامعة الكتاب العلمي، وله فرعان:

- الأول: الكتاب العلمي (مرجع دراسي)، وصدر منه ٣٢ كتابًا.
- الثاني: الكتاب العلمي (غير المخصص لأغراض دراسية).

٤– مشروع طباعة الرسائل الجامعية، تسهر الجامعة على طباعة الرسائل العلمية الجامعية المتميزة وتوزيعها مجَّانًا.

قواعد النشر

أولًا:

تنشر المجلّة البحوث العلمية باللغات العربية، والإنجليزية والفرنسية؛ تحريرًا أو ترجمةً، على أن تكون بحوثاً أصيلة مبتكرة تتصف بالموضوعية والشمول والعمق، ولا تتعارض مع القيم الإسلامية، وذلك بعد عرضها على محكمين من خارج هيئة التحرير بحسب الأصول العلمية المتبعة.

ثانيًا:

١. يراعى في البحث أن يتميز بالأصالة وأن يضيف إضافة جديدة للعلم والمعرفة، وأن يكون مستوفياً للجوانب العلمية بما في ذلك عرض الأسس النظرية والأهداف الخاصة من إجراء البحث والإجراءات المستخدمة في استخلاص النتائج وعرض النتائج والمناقشة.

٢. تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر في المجلة للشروط الآتية:

٣. ألا يكون البحث قد نشر من قبل أو قدم للنشر إلى جهة أخرى، وألا يكون مستلاً من بحث أو من رسالة أكاديمية نال بها الباحث درجة علمية، وعلى الباحث أن يقدم تعهداً خطياً بذلك عند إرساله إلى المجلة.

٤. تقبل البحوث التي تكون جزءا من رسالة جامعية لم تناقش بعد.

٥. لا يجوز للباحث أن ينشر بحثه بعد قبوله في المجلة في مكان آخر إلا بإذن خطي من رئيس التحرير، وإلا تكفل الباحث بسداد التكلفة المالية لتحكيم بحثه خلال الدورة التحكيمية.

٦. يراعى ضبط الآيات القرآنية وكتابتها بالرسم العثماني، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة، إن استشهد بها في البحوث.

٧. يُكتب البحث بمسافات (مفردة)، على ألا يقل عدد صفحاتها عن (٢٠) صفحة بواقع (٥٠٠٠) خمسة آلاف كلمة، ولا يزيد عن (٣٠) صفحة في (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة كلمة، وحجم الخط (١٦) نوع (Simplified Arabic)، وإذا زاد البحث عن (٣٠) صفحة، فعلى الباحث دفع تكاليف الطباعة للصفحات الزائدة؛ وهي (٥) دولارات عن كل صفحة.

٨. ترسل من البحث نسخة إلكترونية، وفق برنامج "Word ٢٠١٠" وتكتب أسماء الباحثين

باللغتين العربية والإنجليزية، كما تذكر عناوينهم ووظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، بحسب كشف البيانات المرفق؛ وذلك (بغرض التوثيق الدولي).

٩. يُرفق مع البحث ملخص باللغة العربية (في حدود ١٢٠ كلمة) وآخر باللغة الإنجليزية (في حدود ١٥٠ كلمة)، ويتضمن على الأقل أهداف البحث وإشكاليته، ومنهجهُ وأهم نتائجه، وإسهامات البحث، وخمسة كلمات مفتاحية.

١٠. يُرفق بالبحث الترجمة الكاملة لقائمة المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية؛ وذلك بغرض التوثيق الدولي.

١١. ترقم الجداول والأشكال والصور التوضيحية وغيرها على التوالي بحسب ورودها في متن البحث، وتزود بعنوانات يشار إلى كل منها بالتسلسل نفسه، وتقدم بأوراق منفصلة.

١٢. يتبع المنهجية العلمية في توثيق البحوث على النحو الآتي:

- يشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة آليًّا توضع بين قوسين إلى الأعلى (هكذا:(١) (٢)) وتبين بالتفصيل في أسفل الصفحة وفق تسلسلها في المتن.
- تذكر ببوغرافيا(معلومات الكتاب) في أول ورد لها في البحث على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المحقق (إن وجد) أو المترجم، دار النشر، بلد دار النشر، رقم الطبعة يشار إليها بـ (ط) إن وجدت، التاريخ إن وجد وإلا يشار إليه بـ (د.ت). أما بحوث الدوريات فتكون المعلومات على النحو الآتي: (اسم المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، جهة الإصدار، بلد الإصدار، رقم العدد، التاريخ، مكان البحث في المجلة ممثلاً بالصفحات (من...إلى...).
- إذا تكررت بعد أول إيراد له يُكْتفَى باسم المؤلف وعنوان المصدر، فإن تكرر مباشرة في الصفحة نفسها يكتب: (المرجع نفسه)، فإن تكرر مباشرة في الصفحة اللاحقة يكتب: (المرجع السابق).
- يشار إلى الشروح والملحوظات في متن البحث بنجمة (هكذا:×) أو أكثر.
- تثبت المصادر والمراجع في قائمة آخر البحث مرتبة ترتيباً هجائياً بحسب اسم المؤلف يليه الكتاب والمعلومات الأخرى.

١٣. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة من البحث، وتقرير عن التعديلات التي قام بها.

١٤. يحرص الباحث على تدقيق بحثه لغويًّا، ولا تقبل المجلة بحوثًا غير مدققة لغويًّا.

ثالثاً: الشروط الإضافية على البحوث المترجمة:

١. أن ترفق مع الترجمة المادة المترجمة بلغتها الاصلية.

٢. يرفق مع الترجمة ملخصان أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية أو الفرنسية، على ألا يتجاوز كل ملخص (١٢٠) كلمة، مع الكلمات المفتاحية.

٣. تكون المادة المترجمة محكمة، أو منشورة في إحدى المجلات المحكمة، أو قد تكون جزءًا من كتاب محكم.

٤. لا يتجاوز عدد صفحاتها / ٢٠ صفحة / من الحجم العادي (A٤ ((٦٠٠٠ كلمة) ولا يقل عن / ٧ صفحات / .

٥. المحافظة على النص الأصيل وتفادي الاختزال ما لم يُشَرْ إلى ذلك وبهدف تحسين الترجمة.

٦. أن تكون الجمل مترابطة ومتماسكة وتخدم المعنى المقصود في المادة الاصلية.

٧. يذكر في أول إحالة في الترجمة اسم المؤلف الأصلي مع نبذة عن إسهاماته.

٨. تشتمل الترجمة على مقدمة في سطور تبين الأهمية العلمية للمادة المترجمة، وأهم النتائج المتوقعة

رابعاً:

١. ما ينشر في المجلة من آراء يعبر عن فكر أصحابها، ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.

٢. البحوث المرسلة إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

٣. يخضع نشر البحوث وترتيبها لاعتبارات فنية، بحسب خطة النشر.

٤. يحق للمجلة – عند الضرورة – إجراء بعض التعديلات الشكلية على البحوث المقبولة للنشر دون المساس بمضمونها.

٥. يحق للمجلة نشر البحوث المقبولة إلكترونيا، والمشاركة بها في قواعد البيانات والمواقع الإلكترونية.

٦. يزود الباحث بعد نشر بحثه بنسخة إلكترونية (PDF) من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومستلة (PDF) لبحثه.

خامسًا: رسوم النشر:

- إسهامًا من مجلة الموئل في إثراء الحركة البحثية في دولة الإمارات العربية المتحدة بشكل خاص، وكل الأقطار العربية والإسلامية بشكل عام، فإن المجلة لا تحمل الباحثين أية رسوم، إلا ما سبق الإشارة إليه في بند (٧) ثانياً.
- ترسل البحوث وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى:

رئيس تحرير مجلة الموئل
ص.ب. ٣٤٤١٤ دبـــي – دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٠٠٩٧١٤٤١٢٨٧١٩ – فاكس ٠٠٩٧١٤١٢٨٧٨٠
أو البريد الإلكتروني: maoj@alwasl.ac.ae

الافتتاحية

بقلم: أ.د. زياد علي دايح الفهداوي

رئيس التحرير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين؛ سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين، وبعد؛

فيسر هيئة تحرير مجلة الموئل بكلية الدراسات الإسلامية- جامعة الوصل بدبي، إصدار عددها الثاني، وهي مجلة علمية محكمة سنوية، تُعنى بالدراسات الإسلامية، ويتألف هذا العدد من سبعة عشر بحثاً هي جزء من الأبحاث التي قدمت إلى الندوة الدولية الحادية عشرة لمركز بحوث السنة النبوية في جامعة الوصل بدبي- والتي جاءت بعنوان: (إنسانيةُ الإنسانِ في السنةِ النبويّةِ... قيمٌ كونيةٌ وضوابطٌ شرعيّةٌ) في (مارس ٢٠٢٣م).

سلطت الندوة الضوء على المنهجَ النبوي في ترسيخ وتوظيف المبادئ الإنسانية للمجتمع المسلم، القائم على التسامح والتعاون والتكافل، بما يضمن المساواة في الحقوق والواجبات لكل فردٍ من أفراد المجتمع الإسلامي؛ ليطبق القيم الإسلامية التي دعت إليها الشريعة الإسلامية، واعتنت السنة بتكميلها وتهذيبها ليس للبشر فحسب؛ بل حتى للحيوانات، كما في قوله ﷺ: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»[1].

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم (٤ / ١٣٠)، رقم ٣٣١٨، عَنِ ابْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا).

فينبغي أنْ تكون نظرتنا للإسلام نظرةً شاملةً تقتضي معاينة أهدافه ووسائله ومقاصده، وبالتالي فإنّ معرفة المقاصد الشرعية تقودنا إلى تحقيق فهم أعمق للدين، والتيسير على المُعسرين.

وقد قال ابن عاشور (رحمه الله): «إِنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ فِي حَالِ الْأُمَمِ كُلِّهِمْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ لَا تَجِدُ شَرَائِعَهُمْ وَقَوَانِينَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ خَالِيَةً مِنْ إِصْرٍ عَلَيْهِمْ، مِثْلِ تَحْرِيمِ بَعْضِ الطَّيِّبَاتِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمِثْلِ تَكَالِيفَ شَاقَّةٍ عِنْدَ النَّصَارَى وَالْمَجُوسِ لَا تَتَلَاقَى مَعَ السَّمَاحَةِ الْفِطْرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ لَا تَجِدُهَا خَالِيَةً مِنْ رَهَقِ الْجَبَابِرَةِ، وَإِذْلَالِ الرُّؤَسَاءِ، وَشِدَّةِ الْأَقْوِيَاءِ عَلَى الضُّعَفَاءِ، وَمَا كَانَ يَحْدُثُ بَيْنَهُمْ مِنَ التَّقَاتُلِ وَالْغَارَاتِ، وَالتَّكَايُلِ فِي الدِّمَاءِ، وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَهُمْ بِالْبَاطِلِ، فَأَرْسَلَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِدِينٍ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُخَلِّصَ الْبَشَرَ مِنْ تِلْكَ الشَّدَائِدِ»[1].

ولأهمية هذه الدراسات في الواقع المعاصر أخذت هيئة التحرير على عاتقها نشر هذه الأبحاث في عددٍ مستقلٍ، لتكون عونًا لزيادة إيمان المؤمنين، وارشادًا لغير المسلمين.

وتتقدم المجلة بأذكى آيات الشكر والتقدير للسادة الباحثين الذين أثرو المجلة ببحوثهم وللسادة العلماء الذين حكموا ودققوا بحوث العدد، ووجهوها توجيها سديدًا يتلاءم والمكانة العلمية لجامعة الوصل كواحدة من أقدم روافد العلم في دولة الإمارات العربية المتحدة.

١- (ابن عاشور، التحرير والتنوير:٩ / ١٣٧).

نبذة عن كلية الدراسات الإسلامية:

تُشرف كلية الدراسات الإسلامية على سير العملية التعليمية بالتنسيق مع الأقسام العلمية في الكلية، وتسعى إلى ترقية الأداء التعليمي، وتطوير الخطط والبرامج، وتحديث الطرائق والمناهج، وتقوم بمتابعة اللوائح والنظم المعمول بها في الجامعة وتطبيقها، وتنفيذ القرارات الصادرة عن إدارة الجامعة ومجلسها والتنسيق مع عمادة الدراسات العليا لمتابعة الجانب الأكاديمي في برنامجي الماجستير والدكتوراه، والتعاون مع عمادة شؤون الطلبة لمتابعة سير العملية التعليمية وإجراء الامتحانات، فضلا عن تقويم تطبيق الخطة الدراسية ومتابعة تنفيذ توصيات هيئة الاعتماد الأكاديمي وتطبيق مفردات المساقات الدراسية.

رؤية الكلية:

إعداد جيل من المختصين في الدراسات الإسلامية، يحوزون المعارف والمهارات المؤهلة لمعالجة مستجدات الحياة برؤية تأصيلية علمية متزنة، خدمةً للمجتمع ومؤسساته ما يحقق الكفاية منهم، بمنهج وسطي معتدل.

الرسالة:

توفير برامج أكاديمية متنوعة في الدراسات الإسلامية، تتوافق مع المعايير الوطنية، وترفد المؤسسات بالكوادر المؤهلة.

الأهداف:

- تعليم علوم الشريعة بما يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويتوافق مع مقاصد الشريعة وكلياتها وأصولها الثابتة.
- بناء الشخصية المسلمة المنتمية لدينها وأمتها، المعتزة بوطنها وأصولها، المتحصنة بالفهم الصحيح للإسلام القائم على الوسطية والاعتدال.
- ترسيخ مبادئ التسامح والحوار، وتأسيس أصول التواصل بين العاملين في حقل الدراسات الإسلامية على اختلاف مدارسهم، وبناء جسور الألفة مع سائر المشتغلين في حقل الدراسات الإنسانية بوجه عام.

- تكوين الملكة الفقهية والأصولية لدى الطالب وذلك بتنمية مهارات القراءة والكتابة، والقدرة على الاستنباط والاستدلال، وإنتاج البحوث العلمية.
- بناء النهج الإسلامي في سلوك منتسبي البرامج وتعاملهم مع عدم التفريط في انتمائه الديني والوطني.
- إعداد باحثين مختصين على صعيد الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية، قادرين على تهيئة الحلول السليمة وفق منهج وسطي معتدل بما يجيب عن الكثير من المستجدات المعاصرة.
- رفد المؤسسات بالكوادر المؤهلة للعمل على صعيدي القطاع العام والخاص.

قسم الدراسات الإسلامية:

هو أحد الأقسام الرئيسة في الجامعة، أُسس في العام الجامعي (١٩٨٦-١٩٨٧م)، وقد تخرجت الدفعة الأولى في تخصص الدراسات الإسلامية في العام ١٩٩٠-١٩٩١م وما زال مستمرًّا في عطائه، وقد فتح باب التسجيل أمام الوافدين للبكالوريوس ابتداء من العام الجامعي ٢٠١٧ / ٢٠١٨م.

رؤية البرنامج:

طرح برنامج رائد وسطي قادر على تأهيل الكوادر أكاديميًا ومهنياً في مجالات الدراسات الإسلامية على الصعيدين المحلي والإقليمي، وفق برنامج يجمع بين النظرية والتطبيق.

رسالة البرنامج:

نحو برنامج يجمع لرواده: المعرفة، ويُكسبهم المهارات، ويمكنهم من القدرات الخاصة من الإفادة من الدراسات الإسلامية، في بيئة تعليمية تُراعي المعايير الأكاديمية، سعياً نحو التميز في ظل تنافسية عالية في أسواق العمل، وتحقيقًا للتنمية المستدامة للمجتمع.

ويهدف القسم إلى ترسيخ الفهم الصحيح للشريعة الإسلامية، وبناء العقيدة الصحيحة القائمة على منهج السلف الصالح في نفوس الطلبة، بما يعزز بناء المواطن الصالح، وإرساء المناهج السليمة في فهم النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وتأهيل الطلبة ليكونوا دعاة عارفين بأصول الدعوة ومناهجها، فضلا عن تنمية مهارات التفكير لديهم، وتفعيل قدراتهم في الحوار الحضاري مع الآخرينِ ليجمعوا في ذلك بين الأصالة والمعاصرة.

ويرتبط أكاديميًا بكلية الدراسات الإسلامية، وبعمادة شؤون الطلبة، وكذلك بمركز البحوث المؤسسية والاعتماد الأكاديمي والتخطيط في الجامعة. ويضم نخبة من الأساتذة المتميزين من أصحاب الرتب العلمية العالية.

المرحلة الأولى: مرحلة البكالوريوس:

تأسس قسم الدراسات الإسلامية - مرحلة البكالوريوس - في العام الجامعي ١٩٨٦ - ١٩٨٧ م مدة الدراسة فيه أربع سنوات بالنظام الفصلي أو ما يحقق متطلبات التخرج وفق نظام الساعات المعتمدة لمنح شهادة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية.

المرحلة الثانية: مرحلة الدراسات العليا:

تأسس برنامج الدراسات العليا - لتخصص الدراسات الإسلامية في العام الجامعي ١٩٩٥ / ١٩٩٦ م يخول الملتحقين به الحصول على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية.

وفي عام ٢٠١٦ م تم تجديد اعتماد برنامج الماجستير في الدراسات الإسلامية في التخصصين: فقه، وأصول الفقه بموجب القرار الوزاري رقم (١٤٤) لسنة ٢٠١٦ م بتاريخ ٣ / ٥ / ٢٠١٦ م، وتمت اعادة اعتماد البرنامج في ١٥ / ٤ / ٢٠٢١ م.

افتُتح برنامج الدكتوراه في التخصص نفسه في العام الجامعي ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ م.

وتم إعادة اعتماد البرنامجين في العام الجامعي ٢٠٢٠ / ٢٠٢١م، وقد بلغ عدد الخريجين حتى عام ٢٠٢٣م، ٢٠٠ خريج على النحو التالي:

الدرجة العلمية	العدد
ماجستير	١٦٠
دكتوراه	٤٠

والبرنامجان متاحان للجنسين من الجنسيات الخليجية والعربية والإسلامية وفق شروط تحددها الجامعة.

المحتويات

١	الافتتاحية	٩
٢	الضوابط الفكرية لإنسانية الإنسان «دراسة عقدية في ضوء السنة النبوية»	١٧
٣	الحرية الإنسانية ودور السنة النبوية في السمو بها	٦٥
٤	دور البناء الاجتماعي وفلسفة التّاريخ في إبراز إنسانيّة الإنسان من خلال السنّة النّبويّة	١٠٩
٥	إنسانية الإنسان في السنة النبوية (التعامل مع الغير نموذجا)	١٥١
٦	مجالات إنسانية المرأة في السنة النبوية	٢١٥
٧	منظومة القيم مدخل أساسي لبناء إنسانية الإنسان في السنة النبوية	٢٦٣
٨	تغيير الخلقة الإنسانية التحديات والحلول – دراسة في السنة النبوية	٢٩٩
٩	إنسانية الإنسان في ضوء السنة النبوية وتطبيقاتها في مجال العلاقات الدولية: النزاعات المسلحة نموذجًا	٣٥٧
١٠	القيم الإنسانية في التعامل مع المعسر وأثرها في بناء مجتمع متكافل	٤١٥
١١	إنسانية اليتيم في السنة النبوية – دلالات إعجازية	٤٦١
١٢	إنسانية محمد صلى الله عليه وسلم ومهاراته في التواصل مع الأطفال – نماذج مختارة	٥٢١
١٣	أثر التسول في إهدار كرامة الإنسان ودور السنة النبوية في مواجهته	٥٥١
١٤	نماذج من المنهج النبوي في بناء السَّواء وحماية إنسانية الإنسان	٦٠١
١٥	مبدأ الإنسانية في السنة النبوية وأثره في حسن تنشئة الولدان ورعاية الضعفاء والرفق بالحيوان	٦٤١
١٦	إنسانية الإنسان في السنة النبوية: القيم والروابط الأسرية نموذجًا	٦٨٥
١٧	تفعيل القيم الإنسانية من منظور السنة النبوية بين تنوع المقاربات ودعم المرجعيات	٧٣٧
١٨	مبدأ إنسانية الإنسان من خلال الأدب المفرد للإمام البخاري موازنة تحليلية بين المعالجة النبوية والمقاربات الفلسفية الحديثة	٧٩١

دور البناء الاجتماعي وفلسفة التّاريخ في إبراز إنسانيّة الإنسان من خلال السنّة النّبويّة

د. فراس بن ساسي
دكتوراه في الدراسات الإسلامية
تونس

https://doi.org/10.47798/maoj.2023.i02.03

ملخص البحث

يتناول البحث تجلّيات إنسانيّة الإنسان في البناء الاجتماعي و فلسفة التّاريخ من خلال السنّة النّبويّة، ويتعرض في سياق ذلك لصياغة مفهوم الإنسان في ضوء هذه المُعطيات مُؤكّداً على الخصوصيّة الإسلاميّة ومنفتحاً على مقتضيات الكونيّة بالضّوابط الشّرعيّة، وهو في هذا كُلّه يعمل على بيان حدود الإنسانيّة كما يطرحها الإسلام في مقابل الإنسانويّة الغربيّة الماديّة، وينصّ على أنّ الإنسانيّة هي مقصد لا يختلف فيه العقلاء، وإنّما الإشكال المطروح في صياغة مقوّمات هذه الإنسانيّة.

الكلمات المفتاحيّة: الإنسانيّة – الإنسان – السنّة النّبويّة – البناء الاجتماعي – فلسفة التّاريخ.

Abstract

The research deals with the manifestations of human humanity in the social construction and philosophy of history through the Prophetic Sunnah, and in the context of that, it deals with the formulation of the concept of man in the light of these data, emphasizing the Islamic specificity and open to the requirements of universality with legal controls, and in this it works on all its human limits. In contrast to materialistic Western humanism, it states that humanity is a goal that does not differ in the wise, but rather the problem involved in formulating the components of this humanity.

Keywords: Humanity -Sunnah of the Prophet-Social Construction-Philosophy of History.

مقدّمة

تكتسي المسألة التّاريخيّة والمسألة الاجتماعيّة أهمّيّة بالغة في الحياة، فبهما تُقَدّر قيمة الإنسان وعليهما ينبني كيانه ومن خلالهما تتبلور رؤيته الذّاتيّة والكونيّة، وقد ظلّ الجانب الاجتماعي والجانب التّاريخي ملاصقاً لكينونة الإنسان في مختلف العصور، كما أنّه كان ولازال محلّ اهتمام المفكّرين والعلماء، بل إنّ كُلّ حضارة نشأت ما كانت لتؤثّر وتستقرّ وتُهيمن لولا قيامها على نظرة اجتماعيّة وقراءة للتّاريخ معيّنة، ذلك أنّ هذين المُعطيين يُقدّمان فهماً معيّناً للإنسان تنبثق عنه كُلّ التّشاريع والقوانين.

والسنّة النّبويّة -باعتبارهَا نصاً تأسيسيّاً- لم تكن استثناء، فقد اهتمّت ببيان البناء الاجتماعي وفلسفة التّاريخ لبناء النّظرة الكونيّة الإسلاميّة المنبثقة من الوحي الإلهيّ، والنّاظر في تجليّات هذين المعطيين- أقصد التّاريخيّ والاجتماعيّ- يرصد ملحظاً مُهمّا ومركزياً بل ومُطّرداً، قوامه أنّ الرّؤية الإسلاميّة الاجتماعيّة والتّاريخيّة تعمل أساساً على إبراز إنسانيّة الإنسان وتكريمه والحفاظ على كيانه بتقديم أفضل نموذج يمكن أن يكون عليه الإنسان، وفي هذا الإطار يتنزّل هذا البحث الموسوم بـــ»دور البناء الاجتماعي وفلسفة التّاريخ في إبراز إنسانيّة الإنسان من خلال السنّة النّبويّة».

مشكلة البحث:

يُعالج البحث مُشكلة إنسانيّة الإنسان باعتبارها مقصداً يُراد بلوغه، ويحاول أن يُفتّش في الرّوابط بين المعطى الاجتماعي والتّاريخي وبين الإنسانيّة عبر فحص البناء الاجتماعي وفلسفة التّاريخ في السنّة النّبويّة، واستخراج ما تتجلّى من خلاله إنسانيّة الإنسان.

إشكاليّة البحث:

ماهي تجلّيات إنسانيّة الإنسان في البناء الاجتماعي وفلسفة التّاريخ من خلال السنّة النّبويّة؟

أهداف البحث:

١- بيان خصائص البناء الاجتماعي المُكرّسة لإنسانيّة الإنسان في السنّ النّبويّة.

٢- بيان تجلّيات إنسانيّة الإنسان في القراءة الإسلاميّة للتّاريخ.

٣- بيان دور السنّة النّبويّة في صياغة الخطاب الإنساني انطلاقاً من المعطى الاجتماعي والمُعطى التّاريخي.

٤- التّنصيص على ثراء السنّة النّبويّة بالمعاني الإنسانيّة الكونيّة.

٥- صياغة مفهوم لإنسانيّة الإنسان في السنّة النّبويّة من خلال رصد التّطبيقات وحشد التّجلّيات.

أهمّيّة البحث:

١- معالجة قضيّة راهنة وهي «إنسانيّة الإنسان».

٢- التّنصيص على أنّ الإسلام يحترم إنسانيّة الإنسان ويطرح لها مفهوماً راقياً.

٣- جمع عدّة مفردات متعلّقة بقضيّة الإنسانيّة من خلال تتبع نصوص السنّة النّبويّة.

٤- توظيف التّداخل المعرفي بين علم الاجتماع وعلم التّاريخ والعلوم الإسلاميّة لمعالجة قضيّة «إنسانيّة الإنسان».

منهجيّة البحث

اعتمدت في هذا البحث على عدّة مناهج منها:

المنهج الاستقرائي: خصوصا في تتبّع الأحاديث المُكوّنة للبناء الاجتماعي الإسلامي، والأحاديث المُعبّرة عن فلسفة التّاريخ.

المنهج الوصفي: اعتمدته خاصّة في وصف وتحليل الأحاديث التاريخيّة والاجتماعيّة، واستخراج قيم إنسانيّة الإنسان فيها.

المنهج المقارن: بالمقارنة أحياناً المنهج الإسلامي والمنهج الغربي المادّي في تقرير إنسانيّة الإنسان.

عرض الدّراسات السّابقة ونقدهَا

الدّراسات السّابقة:

لم أجد دراسات تناولت موضوع توظيف المعطى الاجتماعي والتّاريخي في إبراز إنسانيّة الإنسان من خلال السنّة النّبويّة، ولكنّي وقفت على بعض الدّراسات المتعلّقة بمسائل متعلّقة بعموم قضيّة إنسانيّة الإنسان في الإسلام، ومنها:

١- إنسانيّة الإنسان في الإسلام للدّكتورة آمنة محمّد نصير(دار الشّروق، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م): وقد بحثت الدّراسة مفهوم الإنسان في ظلّ الإسلام، وأوجه تكريمه من خلال معالجة مسألة الاستخلاف والأمانة والعلم والتّكليف، ثمّ تناولت علاقة الحدود بإنسانيّة الإنسان كمحاولة للردّ على شبهات تعارض بعض تشريعات الإسلام مع القيم الإنسانيّة.

٢- العلاقات الإنسانيّة في السنّة النّبويّة الشّريفة للدّكتور الطّيب زبيدة (مقال في مجلّة الدّراسات الإسلاميّة، جامعة عمر التّليجي، الجزائر، العدد ٩،

سنة ٢٠٢١): وقد تناول المقال مسألة جزئيّة من مسائل إنسانيّة الإنسان وهي العلاقات الأفقيّة بين الإنسان والإنسان، وما جاء في السنّة النّبويّة من ترشيدها والحفاظ عليها وتنظيمها في إطار كونيّ يراعي الخصوصيّة ويحفظ الهويّة ويمنع الذّوبان في الغير.

٣- حماية الكرامة الإنسانية في السنة النبوية للدكتورة خديجة تركستاني (مقال في مجلّة البحوث الإسلاميّة، الرّئاسة العامّة للبحوث العلميّة والإفتاء، السّعوديّة، العدد ١٠٠، ٢٠١٣): بحث المؤلّف في هذا المقال التّشريعات التي جاءت في السنّة النّبويّة والتي تعمل على حماية الكرامة الإنسانيّة بما في ذلك التّشريعات الأخلاقيّة والتّشريعات العقديّة والتّشريعات السّياسيّة والاجتماعيّة، فكان أشبه بجمع لمظاهر الكرامة الإنسانيّة في السنّة النّبويّة.

نقد الدّراسات السّابقة:

يمكن أن نرصد من خلال عرض ما سبق من الدّراسات أوجه الجدّة في هذا البحث، ومنها:

١- الرّبط بين المعطى الاجتماعي والمعطى التّاريخ وبين إنسانيّة الإنسان في ضوء السنّة النّبويّة.

٢- العمل على صياغة مفهوم للإنسان والإنسانيّة في ضوء السنّة النّبويّة من خلال البناء الاجتماعي والقراءة لفلسفة التّاريخ.

٣- معالجة قضيّة الإنسانيّة في ضوء نصوص السنّة النّبويّة دون غيرها.

٤- العمل على تأصيل الفكر الإنساني في السنّة النّبويّة.

٥- توظيف التّداخل بين العلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة لإبراز إنسانيّة الإنسان في ضوء السنّة النّبويّة.

٦- تقديم استقراء تام لنصوص السنّة النّبويّة بخصوص بعض المباحث كفلسفة التّاريخ.

المخَطّط:

- ملخّص البحث
- مقدّمة
- المبحث الأوّل: مفاهيم أساسيّة
- المبحث الثّاني: تجلّيات إنسانيّة الإنسان في البناء الاجتماعي من خلال السنّة النّبويّة.
- المبحث الثّالث: دور فلسفة التّاريخ في إبراز إنسانيّة الإنسان من خلال السنّة النّبويّة.
- خاتمة

المبحث الأوّل: مفاهيم أساسيّة

١- مفهوم علم الاجتماع

يدرس علم الاجتماع الحياة الاجتماعيّة والجماعات والمجتمعات الإنسانيّة[١]، ويُسمّى بالفيزياء الاجتماعيّة[٢] أو البيولوجيا الاجتماعيّة[٣] أوعلم المجتمع[٤]، ويمثّل مجالا علميّاً مُفيداً للإنسان، فهو العين التي نُدرك بها الفوارق بين الثّقافات وتُرينا العالم الاجتماعي من غير زاويتنَا، وهو تقييم دقيق لآثار السّياسات ومقياس لمدى نجاعتها وعُمقها في التّعاطي مع المُكَوّن الاجتماعي، علاوة عن كونه تفكيكا للذّات وسبراً لأغوارها وتعزيزاً للمعرفة بها وببواعثهَا الكامنة وراء الأفعال والمواقف[٥].

٢- مفهوم البناء الاجتماعي

وصف الأشكال البنائية وتحليل كل منها إلى عناصره الجزئية ودراسة العلاقات بين تلك العناصر بعضها مع البعض الآخر، وبحث الوظائف الاجتماعية لتلك العناصر[٦].

٣- مفهوم فلسفة التّاريخ

هي فرع معرفيّ يهتمّ «بمحاولة فهم مسار الأحداث التاريخيّة الإنسانيّة ككل محاولا الوصول إلى علّتها الكلّيّة الشّاملة»[٧]، وكان فولتير أوّل من استعمل اصطلاح فلسفة التاريخ في بحث نشره عام ١٧٥٦ في كتابه «مقال عن أخلاق

١- غدنز، أنتوني، علم الاجتماع (٤٧).
٢- تَسمية سان سيمون
٣- تسمية كونت
٤- تسمية ماركس
٥- انظر: غندر، أنتوني (٥٣)
6- Rivers, W.H.R.1957: Social Organization Castes , London, P135
٧- النشاز، مصطفى، فلسفة التاريخ(٢٢)

الأمم وروحها»، وكان معناه عنده آنذاك لا يتجاوز مجرد تأمّل التاريخ بطريقة المذهب العقلي، قبل أن يكتسب المُصطلح معناه المُشار إليه أوّلا مع هيجل[1].

٤- الإنسانيّة

يشير مصطلح الإنسانيّة إلى مجموعة من معاني الإحسان إلى البشر وإعلاء قيمة الكرامة الإنسانيّة والاهتمام بالإنسان عموماً، وهذا القدر يكاد يكون متّفقاً على حسنه بين جميع البشر[2].

ويجب التّنبيه إلى أنّ الإنسانيّة المذكورة في هذا التّعريف ليست محلّ جدل باعتبارها هدفاً نرنوا الوصول إليه، ولكنّ الطّريقة التي نصل عبرها إلى هذا المقصد هو محلّ النّزاع، ولأجل هذا ظهرت المقاربات والمذاهب، ومنها الإنسانويّة، وقد يُظنّ أنّ الإنسانويّة هي الإنسانيّة، ولكنّ الصّواب أنّ الإنسانويّة إلى مذهب يفسّر كيفيّة تحقيق الإنسانيّة، وهو لا يعدوا أن يكون تصوّراً فحسب، ومثله ما تقدّمه الأديان في مقاربة الإنسانيّة، ولذلك فالإنسانيّة مقصد، والوصول إليها هو الذي ينبغي أن يوضع على محك اختبار المشروعيّة.

وعليه، فإنّ مصطلح «إنسانيّة الإنسان» ذكر في البحث باعتباره هدفاً، وكُلّ ما سيقدّم من تجلّيات وتصوّرات في ضوء السنّة النّبويّة هي منهج الإسلام في الوصول إلى هذه الإنسانيّة، وأنّ المقاربة المُقَدّمة تندرج ضمن ما رصدناه في مفهوم الإنسانيّة.

١- النشاز، مصطفى، فلسفة التاريخ (٢٧-٢٨)
٢- لو، ستيفن، الإنسانويّة: مقدّمة قصيرة جدّاً (٩)

المبحث الثّاني: تجلّيات إنسانيّة الإنسان في البناء الاجتماعي من خلال السنّة النّبويّة

تعتبر القراءة في البناء الاجتماعي الإسلامي من خلال السنّة النّبويّة سبيلاً للوقوف على خصائص الوحدة الأساسيّة محلّ البحث، وهي «الإنسان»، ورصد أبرز المقوّمات المُشكّلة لمفهومه وقيمته، وبناء المكاسب التي تُحقّق مقاصد إنسانيّته في ضوء هذا البناء، وهذا من أبرز ما يُمكن أن يُدرس في سياق البحث عن إنسانيّة الإنسان في الفلسفات والمذاهب عموماً، وفي الإسلام خصوصاً، وذلك لكون البناء الاجتماعي هو الجزء الميداني العملي من حياة الإنسان، وفيه تنعكس المفاهيم النّظريّة، وتتحقّق المقاصد، وينال الإنسان منزلته وفق النّموذج الاجتماعي المُتّبع، لذلك فإنّ اختبار إنسانيّة الإنسان يجب أن تمرّ عبر المحكّ الاجتماعي كمؤشّر لهذه الإنسانيّة، وفيما يلي أبرز المُقوّمات التي تبرز إنسانيّة الإنسان في البناء الاجتماعي في السنّة النّبوية:

١ – تكريس السنة النبويّة للإنسانيّة من خلال موقفها من ديناميكيّة السنن الحاكمة للمجتمع.

إنّ نظرة الاجتماعيّة تتضمن في طيّاتها تصوّراً للإنسان ومفهوما للإنسانيّة لا محالة، فدراسة القوانين الحاكمة للمجتمع وفق تصوّر معيّن يمكننا من فهم النظرة للإنسان، وهذه القوانين تُعَدّ محلّ إجماع في الوسط العلمي من حيث وجودها إلزاميّتها واطّرادها، لكنّ المدارس تفاوتت في تحديد مصدرها وطبيعتها، وهنا تتحدّد أنماط تكريس الإنسانيّة وزاوية النّظر إليها فذهب ماركس إلى أنّ السلوك البشري محكوم بعناصر الإنتاج التي تُحدّد مسار حياته، أي أنّ إنسانيّة الإنسان محصورة في الجانب الإنتاجي وذهب ديكارت إلى أنّ الإنسان محكوم بحتميّة اللاوعي لتكون الإنسانيّة عنده حبيسة اللاوعي، وادّعى دوركهايم خضوع

السلوك الإنساني لما يُسَمّيه بالعقل الجمعي بما يجعل من الإنسانيّة نتاجا طبيعيّاً للجبريّة الاجتماعيّة، وادّعى روّاد العلمويّة والإلحاد الجديد رفع الإرادة الحرّة عن السّلوك البشري والتزامه بالإكراهات البيولوجيّة والجينيّة دونما خروج عنها تماماً مثل أيّ حثالة كيميائيّة كما صرّح بذلك ستيفن هوكينغ، كلّ هذه النّظريّات تشترك في الجبريّة التي يُفسّر بها إرادة الإنسان، فالبشر عندهم مُتَحَكَّمٌ في سلوكهم مُتَأثّرونَ بمَا حولهم خاضعون لا حيلة لهم إلّا المُجاراة، وهو ما رفضه الإسلام تَماماً، حيث ناط السنن الكونيّة بالله العادل، وهو ما يمنح صفة الحرّيّة كأساس للإنسانيّة من خلال التحرّر من كلّ سلطة غير إلهيّة، واعتبر السنن كونيّة أسبابا لها مآلات مُعَيّنَة، إلاّ أنّ اختيارات إعمالها تعود للإنسان، وهو مسؤول أمام أفعاله، والشّبكة التي تحكم الكون ليست إلاّ جملة خيارات منضبطة يسير فيها الإنسان كما يُريد.

هذه النظرة تُعطي أكثر قيمة للإنسان وتُعلي من شأنه إزاء تصوّرات العدميّة التي أفرزتها تيّارات الحداثة و مَا بَعدَ الحَداثة، فبتعبير أوضح نقول «إنّ السنن الرّبّانيّة لا تفرض على الإنسان سلوكا بعينه، إنّما تقول له إنّه إذا اختار كذا فالنّتيجة الحتميّة لهذا الاختيار هي كذا، فهي تدع له حرّيّة الاختيار، ولكنّها تُرَتّب نتيجة مُعَيّنة ثابتة لا تتغيّر، على الاختيار الحرّ الذي يختاره، وهي من ثم تكرّم الإنسان إذ تدع له حرّيّة الاختيار، وتتعامل في الوقت ذاته مع العنصر الإنساني فيه وهو الوعي والإرادة والحرّيّة». فكأنّ السنّة النّبويّة تجعل من أساسيّات تكريس الإنسانيّة الحرّيّة والمسؤوليّة.

٢- تكريس الإنسانيّة من خلال الثّابت الاجتماعي: الدّين والأخلاق نموذجا

تنطلق أغلب النّظريّات الاجتماعيّة من تحديد الموقف من مدى تغيّر العناصر الاجتماعيّة، وعليه يقوم البناء التحليلي للنّظريّة وتنبني النّظرة للإنسان والإنسانيّة، لأنّ النّظريّات الاجتماعيّة تنبثق عنها آثار تمس السّلوك البشري الذي يُعدّ ميداناً لهذه النّظريّة، لذلك فقضيّة الثابت والمتغيّر الاجتماعي تُعنى بالتّكريس السّلوكي للإنسانيّة وقد توجّه كبار مُنظّري علم الاجتماع إلى نفي الثّبات عن كلّ العناصر الاجتماعيّة، واعتبارها كُلَّهَا قابلة للتّغيّر، حتّى قال إيميل دوركهايم: «من هذا القبيل (يقصد محاولة تفسير الظّواهر الاجتماعيّة بأنّ لها جذوراً في نفوس الأفراد) أنّ بعض هؤلاء العلماء يقول بوجود عاطفة دينيّة لدى الإنسان وبأنّ هذا الأخير مُزَوّدٌ بحَدٍّ أدنى من الغيرة الجنسيّة والبرّ بالوالدين ومحبّة الأبناء، وغير ذلك من العواطف، وقد أراد بعضهم تفسير نشأة كلّ من الدّين والزّواج والأسرة على هذا النّحو، ولكنّ التّاريخ يوقفنَا على أنّ هذه النَّزَعَات ليست فطريّة في الإنسان،...، وحينئذ فإنّه يمكن القول بناء على الرّأي السّالف بأنّه لا وجود لتفاصيل القواعد القانونيّة والخلقيّة في ذاتها» [١]، ولا غرابة في هذا، فمدرسة دوركايم تُعَدّ من أهمّ محرّكات النّسبيّة المُعَاصرة، والغريب أنّها لقيت رواجاً واضحا عند المُتَلَقّين العرب والمسلمين.

أمّا السنّة النّبويّة فكانت صريحةً في تقرير وجود مُعطيات اجتماعيّة ثابتة وقديمة قدم الإنسان، واعتبرتها مكوّناً أساسيّاً للإنسانيّة تنتفي بانتفائه، وخلاصة نظرة السنّة للإنسانيّة في ظل الموقف من المتغيّر والثّابت، أنّ الإنسان لا يُحقّق الإنسانيّة إلاّ بتحقيق معطى الأخلاق ومعطى الدّين، فالإنسان كائن دينيّ أخلاقيّ.

ونبدأ بقضيّة الأخلاق، فقد قال -صلى الله عليه وسلّم- للأَشَجّ العَصَري:

١- دوركايم، إميل، قواعد في المنهج (١٦٨ - ١٦٩)

«إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: مَا هُمَا ؟ قَالَ: الْأَنَاةُ وَالْحِلْمُ، قَالَ: شَيْءٌ جُبِلْتُ عَلَيْهِ أَوْ شَيْءٌ أَتَخَلَّقُهُ ؟ قَالَ: لَا بَلْ جُبِلْتَ عَلَيْهِ»[1]، فأقرّ بجبلّيّة الأخلاق وإمكان الوصول إليها بمنأى حتى عن الإسلام ذاته، وبيّن فوقيّتها عن كُلّ المُؤثّرات والتّغيّرات، وهو ما يؤسّس لما يُسمّى بـ«موضوعيّة الأخلاق» ويُراد بها «أنّ القيم الأخلاقيّة قائمة خارج النّفس، ثابتة الوجود بعيدا عن تأثيرات الحسّ أو الذّوق أو أعراف المُجتَمَع، ولها طابع الإلزام الذي يجده الإنسان في نفسه ولا يملك منه فكاكاً»[2]، وهي مكوّن للإنسانيّة في الإنسان ومثاله من السنّة أيضا قول الرّسول -صلى الله عليه وسلّم-: «كُنْتُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؛ إِذْ لَا تَعْبُدُونَ اللهَ تَحْمِلُونَ الْكَلَّ وَتَفْعَلُونَ فِي أَمْوَالِكُمُ الْمَعْرُوفَ وَتَفْعَلُونَ إِلَى ابْنِ السَّبِيلِ»[3]، فالأخلاق وَفق الرّؤية الإسلاميّةَ مُعطى موضوعي ثابت لا تكوّنه الأذواق ولا أنساق الاجتماعيّة، وأيّ تطوّر يطرأ عليها يُعَدّ تشويهاً لهَا.

ويدعم هذا الطّرح الواقع التّاريخي الذي أكّد اتّفاق البشريّة منذ بدايتها على أغلب الأخلاق، حتّى قال سي. أس. لويس ردا على الرغم أن الحضارات لها مقولات أخلاقية مختلفة بصورة واسعة: «إنها كذبة، كذبة عظيمة جدا. لو يذهب شخص ما إلى المكتبة، ويمضي أياما في قراءة «موسوعة الدّين والأخلاق»؛ فسيكتشف بسرعة الاتفاق الهائل في اختيارات العقل العملي الناس. سيجمع من ترانيم بابل إلى ساموس، ومن قوانين مانو إلى كتاب الموتى، وتعاليم كونفوشيوس، والرواقيين، والأفلاطونيين، والسكان الأصليين لأستراليا والهنود الحمر، الاستنكارات المتكررة الحماسية نفسها للقمع والقتل والعذر والباطل، والأوامر نفسها بالعطف على كبار السن، والصغار، والضعفاء، والصدقة،

١- أخرجه ابن حبّان في صحيحه، كتاب إخباره -صلى الله عليه وسلّم- عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين، ذكر أشج عبد القيس رضي الله عنه، (١٢ / ١٧٨) بهذا اللفظ. وصححه ابن حجر في الفتح (ابن حجر، فتح الباري (١٠ / ٦٠))

٢- العامري، سامي، براهين وجود الله(٢٢٧)

٣- الحاكم، المستدرك، كتاب الأطعمة، النهي الواضح عن تحصين الحيطان والنخيل(٤ / ١٣٣) بهذا اللفظ

والنزاهة، والصدق»[١]، لتكون بذلك الأخلاق -وَفق الإسلام- قانونا موضوعيًّا ثابتاً لا يطرأ عليه التّغيير، ولاَ ينبغي أن يتَكَيّف الفكر البشري مع ما فرضه التشّويه المجتمعي للأخلاق حتّى يعتبرهَا أمراً أخلاقيّاً كالمثليّة مثلاً، وهذا الثبات الأخلاقي الذي يدعو إليه الإسلام يُلقي بظلاله على المُمارسة الاجتماعيّة.

وبهذا يضع الإسلام حَدّا للنّسبيّة التي تهدر القيمة الإنسانيّة وتُؤصّل للعدميّة العنيفَة، بل وللوقوع في مزلق إعدام الإنسان، فالمُجتَمع إذا احتكم إلى نظريّة نسبيّة الأخلاق ألغى كُلّ تَحسين وتقبيح عقليّ أو حتّى دينيّ، ومنع النّصيحة، إذ كلّ يرى ما يُمارسه أخلاقيّاً بوجه من الوجوه، ومَهّدَ لشرعَنة العنف والتّمييز والعنصريّة والقتل وسلعنة المرأة تحت مُسَمّيات المساواة والتّطوّر والإرهاب وحفظ الجنس البشري.

كذلك عدَّ الإسلام التّديّن مسألة ثابتَةَ أصليّة في الإنسان، ومكوّناً أساسيّاً للإنسانيّة، فالإنسان متديّن بطبعه، والدّين يكرّس الإنسانيّة، وفي هذا يقول -صلى الله عليه وسلّم-: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانه، أَوْ يُنَصِّرَانه، أَوْ يُمَجِّسَانه، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ؟». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الروم: ٣٠]»[٢]، فالإنسان يولد على قابليّة للمعرفة الصّحيحة هي بمثابة طريق السّيارة الذي يوصل للمُراد ما لم يطرأ ما يُعَكّر المسار، «والتاريخ البشري يحدثنا بأن الدين مكون مركزي في سائر الحضارات والأمم، والدراسات الأنثربولوجية تؤكد ذلك بالكشف عن سريان هذه الظاهرة في التجمعات البشرية، وعلوم

1- C. S. Lewis, "The Poison of Subjectivism," in C. S. Lewis, Christian Reflections, Walter Hooper, ed. (Grand Rapids: Eerdmans,1967), p. 77.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (٢/ ٩٤) بهذا اللفظ، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (٨/ ٥٢) بمثله

النفس والسوسيولوجي كذلك تخبرنا، وغيرها بل بدأت تتشكل مجالات معرفية خاصة لدراسة هذه الظاهرة على وجه الخصوص، فأحد الفروع المعرفية الحديثة نسبيا، والتي تفرعت عن علوم الأعصاب (Neuroscience) ما بات يعرف بـ (Neurotheology) وهو مصطلح مركب من (Neuro) أعصاب، و(Theology) علم اللاهوت، وهو مجال بحثي يسعى للكشف عن طبيعة الصلة والعلاقة بين الجهاز العصبي في الإنسان وظاهرة التدين. وبات من المألوف في كثير من الدراسات حول هذه المسألة، التعبير عن فطرية التدين بأن الدين أشبه ما يكون قد تم تسليكه في الإنسان (Religion is hardwired in humans) حتى بات مكونا صميميا فيه ويقول هنري برجسون: «لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانيّة من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكن لم توجد قطّ جماعة بغير ديانة»[1].

هذا الثّبات في وجود النّزعة الدّينيّة في الإنسان مهمٌّ جدّاً في تكوين الرّؤية الكونيّة وتحديد التّصوّر الاجتماعي، بل والتّأثير على مسار المجتَمَع، وفي هذا يقول الدّكتور الدّرّاز: «إن الخدمة الجليلة التي تؤديها الأديان للجمَاعة لا تقف عند هذا الحد. فليست كل مهمتها أنها المبعث القوي لتهذيب السلوك، وتصحيح المعاملة، و تطبيق قواعد العدل، ومقاومة الفوضى والفساد ؛ إن لها وظيفة إيجابية أعمق أثراً في كيان الجماعة. ذلك أنها تربط بين قلوب معتنقيها برباط من المحبة والتراحم، لا يعدله رباط آخر من الجنس، أو اللغة، أو الحوار أو المصالح المشتركة.»[2] وهو من أبرز ما يحقّق إنسانيّة الإنسان ويثبت قيمة الإنسان ويُعلي من شأنه عبر ترشيد سلوكه وغرس الكواشف التي تُؤدّي به إلى مراعاة طبيعته والرّقيّ إلى منزلته الأصليّة.

1- henri Bergson, les deux sources de la morale et de la religion, p 10

٢- م.ن، ص١٠١.

٣- تكريس الرّؤية الكونيّة للإنسانيّة

لا يمكن أن ينفكّ الإنسان عن رؤية كونيّة تُشَكّلُ مدار حياته، ومنها تنبع تفاعلاته، ودافعه السّلوكيّ والثّقافيّ، وهوَ إِزَءَهَا مُقَيّدٌ بمَا تَفرضه عليه من الإلزامات الإيمانيّة النّافذة فيه قطعاً، كما قال جلن شولتز: «إنّنا نجد على أسس حياة كلّ إنسان، إيمانيّاته. وتُشَكّل هذه الإيمانيّات قيمه التي تقود أعماله»[١] فلا تكاد تَجد إنساناً إلاّ وله عقيدة تنبثق عن نظرته للكون وللحياة ولنفسه حتّى، ولاَ يُقصَدُ هاهنا العقائد الدّينيّة حصراً، بل تشمل مُطلق القناعات والمُنطلقات مهما كان كُنه تَشَكُّلاَتِهَا، أي مطلق «التّصوّر الكوني المُعلن أو المضمر الذي منه تندفع العواطف العفويّة من القلب، وتنبجس الأفكار الفاعلة من الذّهن»[٢]، فَمَن رامَ التّعرّف على النّظريّات الاجتماعيّة والثّقافيّة والاقتصاديّة وغيرها، كان لزاماً عليه إدراك التّصوّر الأساس الذي تُبنى عليه، وهي ملامح الرّؤية الكونيّة بكلّ أبعادها، ولا غرابةَ في ذلك إذا ما علمنا أنّ الكون ميدان النّظريّة، وأنّ الحياة تراخيها الزّمنيّ وامتدادها التّاريخيّ، ولنا أن نتأكّد من عميق أثر الرّؤى الكونيّة في النّظريّات المُختلفة بمجرّد دراسة النماذج الأشهر في التّاريخ، ومنها النّموذج الماركسي، والنّموذج العلمويّ، والنّموذج الدّيني.

والإسلام في بناء نموذجه الاجتماعيّ، اعتمدَ على رؤية كونيّة تحقّق للإنسان إنسانيّته من خلال مقوّم الثّبات ومصدر الحرّيّة ومعيار الأفعال، وهنا نتحدّث عن مركزيّة وجود الذّات الإلهيّة الفاعلة في حياة الإنسان ومسار تحقيقه للإنسانيّة، خصوصا وأنّها ذات عنها صدر الخلق وقامت الخلائق وسُطرت الأحداث وسار الكون، وهو- سبحانه- الأوّل والآخر، والمُتَفرّد بكلّ صفات الكمال والمَنَزّهُ عن كلّ نقصان، كما قال -صلى الله عليه وسلّم-: «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ

1- Glen Schultz, Kingdom Education (Nashville, TN: LifeWay,1998), p. 39.-

٢- العامري، سامي، براهين وجود الله(٤٨)

عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ»[1]، وقد يُظنّ بأنّ «الله» مجرّد عقيدة نظريّة ليس لها أيّ تأثير على الحياة والرّؤى الكونيّة، والواقع أنّ مُعظم الاختلافات العميقة بين النّاس مَرَدُّهَا هذا الأصل، فنفي الوجود الإلهي يستَدعي نفي كلّ ما هو غيبي ميتافيزيقي، ويهدم كُلّ ماهو موضوعي متعالٍ عن التّأثير، لتَتَأسّس النّظرة المادّيّة للكون، وهي أنّ العالم كُلّه مادّة، وما كان بخلاف ذلك فليس إلاّ عدماً، و أيضا النّظرة النّسبيّة التي ترفع عن كُلّ الوجود صفة الثّبات مُطلقا بما في ذلك الأخلاق والفطرة فضلا عن الله تعالى ذاته، ومن ثمّ كان الإخلال بأصل الوجود الإلهي منطلق المادّيّة والنّسبيّة الاجتماعيّة. وفي المقابل إثبات وجود الله عزّ وجلّ أضفى على بعض العناصر الاجتماعيّة ثباتاً، وألزم وجود أسباب ميتافيزيقيّة فاعلة في الكون لا تتقيّد بالمعيار الطّبيعي الفيزيائي، ليأتي إرساء النّظريّة الاجتماعيّة من منطلق المراوحة بين الأسباب المشاهدة والأسباب غير المشاهدة، وبه ندرك عمق الشّرخ الحاصل لكلّ تصوّر اجتماعي يقوم على إلغاء الصّانع الأوّل، والميتافيزيقي تبعاً له، فالإسلام تَحَدّث عن عدّة أمور عدّهَا أسباباً مُؤَثّرةً في الكون والحياة، والأصل أنّها غيبيّة، كالدّعاء.

ثمّ إنّ تراخي الحياة في ظلّ الوجود الإلهي يستطيل إلى ما يُسمى بالحياة الأخرويّة التي تبدأ بعد انتهاء الحياة الدّنيا، وفيها تستردّ المظالم ويُجازى الإنسان، وتتَحَقّق الوعود، و يَحلُّ العدل الإلهي بناءً على ما حصل في الحياة الدّنيا، وقد قَالَ -صلى الله عليه وسلّم-: «لَتُؤَدَّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ.»[2]

لذلك كان البناء الاجتماعي المعتبر بالحياة الأخرى لا يشبه البناء الاجتماعي

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء (٩/ ١٢٤)
٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم(٨/ ١٨) بهذا اللفظ.

القائم على أُحَادِيَّةِ الحياة، وهي الحياة الدّنيا، وتَتَأثّر تبعاً لذلك حتّى منطلقات السّلوك وانضباطه، وهنا يطرح الإسلام مفهوم الرّقابة الإلهيّة، وهو الإحسان، حيث قال -صلى الله عليه وسلّم-: «أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»[1]، وهو ما يُجلّي إنسانيّة الإنسان من خلال مراقبة سلوكه وتحديد بوصلته في اتّجاه ما يجب أن تكون عليه كما كما أراد صانعهَا.

٤- الطّبيعة الإنسانيّة

إن تحديد الطّبيعة الإنسانيّة هي في أساس تحقيق الإنسانيّة، فخصائص الإنسان تعطي فكرة على محدّدات الإنسانيّة في تصور معيّن، فيعتبر الإسلامُ مثلا الإنسَانَ مخلوقا مُزْدَوَجَ التّكْوِين، بجانبه المادّي وجانبه الرّوحي، وأصل خلقته جُعلت لتَتَكَيَّفَ مع مُهمّته الكونيّة حصراً، حتّى إنّ النّظرة الفاحصة لكُنهه تُحيلنَا مُباشرَةً على اتّصاله العضوي بالكون والله، أي المثلّث العلائقي المُكوّن لمُحَدّدات التّصوّر الإسلامي عُمُوماً، والإنسان فيه مُؤثّرٌ ومُتَأثّرٌ، يصنع كيانه من القدرات والقوى العقليّة والشّعوريّة والجسديّة المودعة فيه، ومن موقعه من سؤال الوجود، ويتوسّل بالمُتَاح للوصول إلى الله، وتمثّل الموكل إليه بعين التّكليف الإلهي، وهو مخلوق مُريد مُختارٌ، له من الحرّيّة ما تحسن معها المُحاسبة على الخيارات، مُكَرّمٌ بتكريم الله له، والكون كُلّه مُسخّر له، أمدّه الله بالعقل وفضّله بالعلم، فأيّ مُعالجة أُحَادِيَّةِ الزّاوية للإنسان قَمِنَةٌ بتشويهه وهدر قيمَتِهِ وطعن في إنسانيّته.

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله إن الله عنده علم الساعة (٦/ ١١٥)بهذا اللفظ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله (١/ ٣٠)بنحوه.

٥- دور النّظريّة الاجتماعيّة الإسلاميّة في تكريس الإنسانيّة: المقاربة الإبستيمولوجيّة نموذجاً[١]

تنبني كُلّ النّظريّات العلميةّ على نموذج معرفي أساس، يضبط مجالها، ويُحَدّد آليّاتها، ويرصد مُقَدّماتها، ويُمَيّز مَصادرها، فهي تعمل في فلكه وتنظر للعالم والحقائق من منظوره، وأيّ نتاج علميّ مهما كان مجاله لا بُدّ أن ينبثق عن خيار معرفيّ مُعيّن، بما في ذلك التّصوّرات الاجتماعيّة، وهي ذاتها محلّ نزاع بسبب اختلاف مرجعيّات المقاربات المعرفيّة أساساً.

ثمّ إنّ ممّا يحقّق إنسانيّة الإنسان، وجود مرجعيّة مراعية للخصوصيّة البشريّة، وكاشفة لغوامض الحياة يهتدي بها الإنسان ويستنير، ويحسّ بالاهتمام والرّعاية الإلهيّة وفق ما يخدم مصالحه ويراعي طبيعته.

في هذا المعترك العلميّ، يحظى الإسلام بتصوّر اجتماعيّ بلوره نموذجه المعرفيّ، وأقصد به" جملة المقدمات المعرفية والمنطقية المتولدة من الرؤية الإسلامية للعالم، والتي تعتبر أساساً ميتافيزيقياً للنموذج، وتستنبط هذه المقدمات من قراءة الوحي والكون، ومن قراءة نقدية واعية للتراث الإسلامي و للتراث الإنساني، وتحدد تلك المقدمات طبيعة المعرفة ومصادرها ووسائلها وغاياتها"[٢]، وما يهمّنا هنا السنّة النّبويّة، باعتبارها مرجعاً أساسيّاً للنّموذج المعرفي الإسلامي، فقد تحدّثت بوضوح عن النّظريّة الاجتماعيّة في الإسلام، وجعلت قِوَامُها أوّلاً النّظرة التّوحيديّة، الدّاعية إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وعدم الإشراك به، كما قال -صلى الله عليه وسلّم-: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَنَّ

١- انظر للتّوسّع: عبد الحليم، مهور، إشراف ميلود سفاري، التّأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع: مقاربة في إسلاميّة المعرفة، جامعة السّطيف، الجزائر، ٢٠١٣-٢٠١٤، رسالة دكتوراه (١٨٩ / ٢٧٠)

٢- م.ن، ص٢٢٩.

مُحَمَّداً رَسُلُ اللهَ...»[١]، وقوله -صلى الله عليه وسلّم-: «مَا مِنْ أَحَد يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ»[٢]، فتفرّع عن هذه النّظرة أبعاد معرفيّة منها «البعد الأول: وهو وحدة المعرفة التي يجب بمقتضاها أن تسعى كل العلوم إلى طلب معرفة الحقيقة بمنهج عقلي موضوعي نقدي، وهذا سوف يريحنا وإلى الأبد من الزعم الذي يقسم العلم إلى «عقلي» و «نقلى» بما يوحى بأن الثاني غير عقلي؛ أو يقسمه إلى دراسات «علمية ومطلقة» وأخرى «اعتقادية نسبية»، والبعد الثاني: وهو وحدة الحياة التي بمقتضاها يجب أن تأخذ كل العلوم في اعتبارها الطبيعة «الهادفة» للخلق وتعمل على خدمتها، وهذا سيقضى وإلى الأبد على الزعم القائل بأن بعض العلوم عظيم القيمة وبعضها محايد أو عديم القيمة، وأمّا البعد الثالث: فهو وحدة التاريخ التي يجب بمقتضاها أن تعترف كل العلوم بأن النشاط الإنساني كله ذو طابع اجتماعي أو مرتبط بالأمة، وأن تعمل على خدمة أهداف الأمة في التاريخ. وهذا سوف يقضى على تقسيم العلوم إلى «فردية» و «اجتماعية» مبرزا - وعلى الفور - جميع العلوم على أنَّهَا إنسانية الطابع وذات ارتباط بالأمة.»[٣]، والإنسان في كنف التّوحيد ينظر للدّنيا والمجتمع بنزعة الحُرّيّة التي تفكّ قيوده وتوسّع نطاق تفاعله وتربطه بالله المُتَعالي عن الوجود، وهي تزكية للنفس البشريّة وعتق لها من سجن الأفكار والمُعتَقَدَات الفاسدة.

كمَا تَحضر في النّموذج المعرفي الإسلامي قضيّة الإيمان بقوّة، فيطرح جدليّة الدّين والمعرفة، ويُقَدّمُ أطروحة مُمَيَّزَةً أَسَاسُهَا أنَّ «الإيمان ليس مجرد مقولة

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم(١ / ١١)بهذا اللفظ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي -صلى الله عليه وسلّم- بني الإسلام على خمس(١ / ٣٤) بنحوه مطوّلاً.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا(١ / ٣٧)بهذا اللفظ

٣- إسماعيل راجي الفاروقي، أسلمة المعرفة -المبادئ العامة- خطة العمل-الانجازات(٥)

أخلاقية، بل هو في الحقيقة، وفي المقام الأول مقولة معرفية، وهو بتعبير آخر، مفهوم مرتبط بالمعرفة وبصحة الأخبار التي يتأسس عليها»[1]، ثمّ تأتي مقولة المرجعيّة لتُحَدِّدَ لَنَا مصادر المعرفة في الإسلام، والتي تنحصر في الوحي قرآناً وسُنَّةً، وفي العقل، ملكة الإدراك والعلم، فـ»الرؤية الإسلامية القويمة التي يتكامل فيها الوحي والعقل والكون، ويصرف فيها العقل المسلم إلى النظر والدبر والعمل في عالم الشهادة وشؤونه، كما يوجهه الوحي، هي الرؤية التي مكنت السلف الأول ناصية الإبداع، وفتحت أمام العقل السلم أبواب التجريب والنظر و التنقيب في سنن الحياة والكائنات، وفتحت للإنسانية آفاقا جديدة في مجال الحضارة»[2]

٦– دور المقاربة الأخلاقيّة في تكريس الإنسانيّة

الأخلاق مكوّنٌ أساس في الحياة البشريّة، لا يُمكن إدراك الخصوصيّة الإنسانيّة بمعزل عن بلورة تصوّر جليّ حولها، وهي أحد أبرز محرّكات الإنسانيّة، وتحقيق قيمة الإنسان، فهي الأساس للسّلوك، والدّافع الاجتماعي الأصيل، ومن ثمّ فإنّ المقاربة الأخلاقيّة هي بالأساس لسان كلّ مذهب يقدّم مقاربة للإنسانيّة، فالرّبط بين المنظومة الأخلاقيّة ومدى تحقيقها للإنسانيّة، هو الذي يعطي لهذه المقاربة المشروعيّة.

والإسلام في هذا المساق كان شديد العناية بها، حتّى جعلها النّبيّ –صلى الله عليه وسلّم– مقصد البعثة في قوله: «إنّما بعثت لأتمّ صالح الأعمال»[3]، وتحدّث عن أركان النّظريّة الأخلاقيّة بوضوح، فبيّن مصدر الإلزام فيها، وهو

١– إسماعيل راجي الفاروقي، التوحيد مضامينه على الفكر والحياة (٨٩)
٢– عبد الحميد أبوسليمان، أزمة العقل المسلم (١٢٢)
٣– أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٢ / ١٨٧٩) بهذا اللفظ. وقال ابن عبد البرّ: حديث مسند صحيح (ابن عبد البرّ، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطّأ من معاني الرّأي والآثار (٢٦ / ١٢٧)

الله، الذي أودع فينا فطرة الميل إلى الأخلاق الحسنة ونبذ السّيئة، وجعل الأخلاق موضوعيّة كما بيّنت ذلك في معرض الحديث عن الحتميّة والتّغيّر، وهو ذات ما أكّده كانط لمّا كشف عن مصدر الإلزام الأخلاقي في تلك الملكة العليا في النّفس الإنسانيّة، والتي توجد مستقلّة عن الشّهوة وعن العالم الخارجيّ معاً[١]، أضف إلى ذلك الإلزام الذي يفرضه القرآن والسنّة، فالأخلاق، وإن كانت موضوعيّة وقابلة للتّعرّف العقلي، فإنّ الإنسان عُرضة لمجانبتها تحت تأثير المجتمع وإكراهات الواقع، فكان من دور الدّين تبنّي الأخلاق الحسنة والتّحذير من السّيئة في وظيفة كشفيّة بالأساس، ومن ثمّ عُدّت النّصوص الإسلاميّة المصدر الأساسيّ في الإلزام الأخلاقي، مُخالفةً بذلك كثيرا من النّظريّات الأخلاقيّة التي-وإن اتّفقت في وجوب الإلزام- فإنها تختلف في مصدر الأخلاق، فمنهم من يرجعها إلى الدّين ومنهم من يرجعها إلى المجتمع وغير ذلك من الفرضيّات المطروحة.

وينتج عن الإلزام الأخلاقي مسائل مُهمّ يستدعيها البناء النّظري الأخلاقيّ، منها المسؤوليّة، والتي تكون في النّظام الأخلاقي عبارة عن خيارات مُتَعَدّدة يختار بينها الإنسان بناءً على إرادة حُرّة تكون أساس الجزاء، وهو عنصر آخر من عناصر النّظريّة، والإسلام كما يرى أنّ الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان حُرّيّة الاختيار وملّكه مسؤوليّة يُجازى عليها خيرا أو شرّاً، بما في ذلك الالتزام بالأخلاق، لذلك نجد ردعاً بجزاء دنيويّ وأخرويّ عن بعض الأخلاق، وحثّاً على أخرى، وهو أمرٌ تفرضه كُلّ نظريّة أخلاقيّة، وقد تحدّث الدّكتور الدّرّاز في كتابه الدّستور الأخلاقي في القرآن عن شروط المسؤوليّة الأخلاقيّة والدّينيّة في الإسلام، فذكر منها، الطّابع الشّخصي للمسؤوليّة، والذي يجعلها فرديّة ذاتيّة متّصلة بالشّخص، كقول النّبيّ -صلى الله عليه وسلّم-: «كُلّكم راع وكُلُّكُم مَسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[٢]،

١- الدّرّاز، محمّد، دستور الأخلاق (٢٦)

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب الجنّة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك (٨/ ١٠٢) بهذا اللفظ.

ثمّ ذكر الأساس القانوني ويشمل الإبلاغ بمضمون الأخلاق عبر طريقتين، أولاهما الفطرة وثانيهما الوحي، و تحدّث أيضا عن الحرّيّة التي تستدعيها المسؤوليّة، وجوهر العمل ذاته الذي يجب أن يكون مستحقّاً للثّواب والعقاب[1].

هذه النّظريّة الأخلاقيّة وما لها من أسس معرفيّة وعقائديّة ركينة، نجحت في اختبار التّطبيق الاجتماعي، فأسّست مُجتَمعاً إسلاميّاً قويّاً وراسخاً بصفات قياديّة وتضامنيّة، ومُقوّمات فعّالة حقّقت مقتضيات الإنسانيّة، وكان للدّافع الدّيني الدّور الأهمّ في بلورة الشّخصيّة المُسلمة والبناء الأخلاقي المطلوب، ومقاربة الإنسانيّة في أبهى حُلّة، ومن أهمّ التّجلّيات الأخلاقيّة المُكرّسة للإنسانيّة والمُحافظة على قيمة البشر نذكر:

- الحياء: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: »الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلهُ»[2]
- الصبر: «إنَّ نَاسًا منَ الْأَنْصَار سَأَلُوا رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْه وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفدَ مَا عنْدَهُ فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عنْدي منْ خَيْر فَلَنْ أَدَّخرَهُ عَنْكُمْ وَمَنْ يَسْتَعْففْ يُعفَّهُ اللهُّ وَمَنْ يَسْتَغْن يُغْنه اللهُّ وَمَنْ يَتَصبرَّ يُصَبِّرْهُ اللهُّ وَمَا أُعْطيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ منَ الصَّبْرِ»[3]
- الرحمة: قَالَ النَّبيَّ -صلى الله عليه وسلّم-: «الرَّاحمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ» [4]
- الرفق واللين: قَالَ رَسُولَ اللهَّ -صلى الله عليه وسلّم-: «يَا عَائشَةُ، إنَّ اللهَّ رَفيقٌ يُحبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطي

١- الدّرّاز، محمّد، دستور الأخلاق (١٣٤ / ٢٢٢)
٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار (١ / ٩٠).
٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (١ / ٤٨١) ومسلم في صحيحه، كتاب كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر (١ / ٤٢٦)
٤- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس (١ / ٧٥١) وأبو داود في سننه، أبواب الأدب، باب في الرحمة (١ / ١٠٤١). وقال الترمذي: »حسن صحيح»

عَلَى مَا سِوَاهُ» [١]

- إفشاء السلام قَالَ: رَسُولُ اللَّهَّ -صلى الله عليه وسلّم- «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» [٢]

- كف الأذى: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهَّ أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ، قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» [٣]

- العفو: عن النبي -صلى الله عليه وسلّم- قال: «مَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إِلا زَادَهُ اللهُ بِهَا عِزاً» [٤]

- التواضع: قال رسول الله--صلى الله عليه وسلّم--: »إن اللهَ أَوْحَى إِلَيّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» [٥]

- الوفاء بالعهد: عن رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلّم- قَالَ: «لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ» [٦]

- الصدق: قَالَ رَسُولُ اللَّهَّ -صلى الله عليه وسلّم-: »عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله(١ / ٤٩٦)ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق(١ / ١٠٧٦)

٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن المحبة المؤمنون من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها(١ / ٩٤)

٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: أي الإسلام أفضل؟ (١ / ١٩٧)ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام(١ / ٩٠)

٤- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب استحباب العفو والتواضع (١ / ١٠٧٥)

٥- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار(١ / ١١٧٦)

٦- أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين، حديث أنس بن مالك(٣ / ١٣٥)وقال شعيب: «صحيح».

وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا»[1]

- كفالة اليتيم: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلّم-: »أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا قَلِيلًا[2]».
- إكرام في الشيبة: عن أَبي موسى قَالَ: قالَ رسولُ اللّه: «إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللهِ تَعَالَى إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ»[3].

المبحث الثّالث: دور فلسفة التّاريخ في إبراز إنسانيّة الإنسان من خلال السنّة النّبويّة.

لا يزال الوعي بالتّاريخ خصيصة بشريّة لم ينل شرفها غيره من الكائنات، وهي أحد أوجه التكريم الإلهي التي تتساوق مع طبيعة الوظيفة الموكلة للإنسان خاصّة، بل أحد أبرز دعائمها، فالتاريخ ليس مُجرّد ذاكرة جامدة تحوي أحداثاً متفرّقة بلا رابط ولا معنى، وليس أيضا أداة نتمتّع بها قصّاً وتلاوةً في المجالس والمحافل للتّباهي والتّرفيه، وإنّما هو إدراك لكينونة الإنسان وتحقيق لذاته وعلم بواقعه وصلة بين الأزمنة الثلاث، ماضيا وحاضراً ومُستقبلا، فلا معنى لوجودك في زمان ما دون مشروعيّة تراكميّة زمنيّة سابقة تُبينُ سلَفَكَ وتُحَدّد موقعك الثّقافي والحضاري والاقتصادي والسياسي وترسم مستقبلك، لذلك كانت قراءة التاريخ قراءة للإنسان نفسه وبحث عن إنسانيّته، وكان الاختيار العلمي المُعتبر أنّ حركة التاريخ ليست اعتباطيّة ولا عشوائيّةً، بقدر ماهي شبكة أحداث مُتّسعة جدّاً تربطها قوانين صارمة تقودها في مسار مُحَدّد، هذا التعقيد الذي يعتري حركة التاريخ

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب قوله تعالى: «يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين(١ / ٥٠٧)ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (١ / ١٠٨١).

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيما(١ / ٤٩٣).

٣- أخرجه أبو داود في سننه، أبواب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم(١ / ١٠٢٣)حسنه الحافظ(ابن حجر، تلخيص الحبير، ج٢، ص٦٧٣).

كان محلّ بحث في «فلسفة التّاريخ»،

وفي هذا كُلّه، ستكون قراءة فلسفة التّاريخ هي بحث في قيمة مكوّن التّاريخ وهي الإنسان، وتقرير لمدى تحقّق إنسانيّته في ضوء هذه القراءة للتّاريخ، ويمكن الوقوف هنا على عدّة تجلّيات لإنسانيّة الإنسان من خلال دراسة فلسفة التّاريخ، ومنها:

١ – تدخّل الإنسان في صناعة الحدث التّاريخي علامة على إنسانيّته

الإنسان في أغلب النّظريّات التاريخيّة لا يعدو أن يكون بنية مُسَيّرة ومُتحَكّم فيها من قبل قِوى تمثّل سنن التاريخ وقوانينه، والإنسان في كلّ هذا أشبه بالدُّمى، إمّا أن يقوده روح العالم حسب النظرة المثاليّة لهيجل، أو تسوقه وسائل الإنتاج حسب ماركس، أو أن يكون «مجرّد آلة بيولوجيّة أسيرة القانون الفيزيائي، والإرادة الحرّة غير موجودة»[1] كما هو تصوّر المذهب الفيزيائي، أو التّحكّم الإلهي المطلق دون اختيار بشري كما قال القدّيس أوغسطين في نظريّة العناية الإلهيّة، أمّا السنّة النّبويّة فتصوّرها مختلف تماماً، فهي وإن أقرّت بالتّقدير الإلهي للأحداث التّاريخيّة فإنّها لا تُجرّد الإنسان اختياره وحرّيّته في صناعة الفعل التاريخي وتحمّل المسؤوليّة أمام الله، وليس في هذا تناقض بتاتاً، فمشيئة الله القدريّة تكمن في إعطاء الإنسان قابليّة الاختيار والمشيئة، وتحديد حريّة الإنسان بضوابط لا يتجاوزها تمثّلها طبيعة الإنسان وقدراته، وإعطاء شبكة اختيارات أمام الإنسان مضبوطة ومعيّنة، وأمّا مشيئة الإنسان فتكمن في اختياره من هذه الشّبكة ما سيتحمّل به مسؤوليّة المآلات المنجرّة عن هذا الاختيار، والتي رصدها التقدير الإلهي منذ الأزل بعلمه الأزلي دون أن يطّلع الإنسان على شيء من هذه الاختيارات ومآلاتها، ولذلك قال الرّسول –صلى الله عليه وسلّم– «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ

1- Stephen hawking , The Grand Design (New York: Bantam Books, 2010), p 32.

فَيُيَسَّرُونَ لعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَة، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَة فَيُيَسَّرُونَ لعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَة، ثُمَّ قَرَأَ: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى × وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى × فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى × وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى × وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى × فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى» [1][2]، فالإنسان هو أحد المؤثّرين الأساسيّين في الحدث التّاريخي الذي ينتجه فعله بإمضاء الله ومشيئته، وهو المسؤول الأساسيّ أيضا عن أفعاله أمام الله، وله في هذه الحياة آليّات تفكير ووحي يساهم في إرشاده وتوفيقه إلى حسن الاختيار، هذا التّصوّر الإسلامي حول مسألة القدر من آكد محرّكات السعي والإبداع في المسار التّاريخي، وهو دعيمة أساسيّة من دعائم تحمّل المسؤوليّة وعدم الاتّكال وإثبات إنسانيّة الإنسان باعتباره فاعلاً تاريخيّاً أساسيّا لا وحدة هامشيّة فحسب، ولا يلغي هذا القول حدوث على الإنسان من خارج مشيئة قد يكون هو متسبّبا فيها وغير مريد لها، أو أنّ الله قدّرها عليه فيكون مسيّراً.

٢- ترشيد الصّراع الحتمي في التّاريخ سبيل لتحقيق الإنسانيّة

تؤكّد السنّة النبويّة حتميّة الصراع وديمومته إلى نهاية التاريخ، وتُراهن على قيمته في تشكيل الحضارات وبناء الأمم ناهيك عن تمخّضه عن طبيعة بشريّة فطريّة مستحيلة الانفكاك، فيقول الرسول -صلى الله عليه وسلّم- في تأكيد هذا المعنى: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ، وَيُزِيغُ اللهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَام، وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، وَحَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ الله، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يُوحَى إِلَيَّ أَنِّي مَقْبُوضٌ غَيْرُ مُلَبَّثٍ، وَأَنْتُمْ تَتَّبِعُونِي أَفْنَادًا ،

١- الليل ٥-١٠

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب موعظة المحدّث عند القبر(٢ / ٩٦)و أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفيّة خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٨ / ٤٦) بهذا اللفظ.

يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَعُقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ .»[١]، ولعلّ هذا الطّرح النبويّ يكشف عن حقيقة حتميّة الصراع في كلّ زمان، ودور هذا الصراع في بث ثقافة التحدي وحشد دوافع الإبداع والنّهوض، ولوّ أنّ السنن الكونيّة قامت على الركود والاستقرار لمال الكلّ إلى ركن الأمان ولأحجم عن التّقدّم والبناء، فـ»التّدافع والصّراع المركوز في جبلّة بني آدم يقود إلى تحريك الحياة نحو الأحسن، وتخطّي مواقع الرّكون والسكون والفساد، ومنح القدرة للقوى الإنسانيّة الخيّرة كي تشدّ عزائمها وتصقل قدراتها المقاومة الصاعدة في غمرة التّحدّيات المتعاقبة التي يطرحها الصّراع»[٢] وهو ما يؤكّده توينبي في نظريّته التاريخيّة الحضاريّة لمّا قال: «واضح أنّ بدء الحضارات لم يكن نتيجة العوامل البيولوجيّة أو البيئة الجغرافيّة، كلّ تعمل بمفردها. فلا ريب أنّ نتيجة نوع ما من التفاعل بينها جميعا. وبعبارة أخرى، ليس العامل الذي نسعى للتعرف عليه شيئا مفردا لكنّه متعدد، هو ليس وحدة، لكنّه علاقة»[٣] مؤسّسا بذلك لنظريّة التّحدّي والاستجابة المبنيّة على توسيع نطاق الصّراع ليستغرق عدّة أبعاد حياتيّة تخصّ الإنسان، وهو معنى يتساوق مع عدّة تطبيقات إسلاميّة منها مفهوم الجهاد الذي جُعل ذروة سنام الإسلام وعُدّ شرف المسلم وسبيل نشره للعقيدة وحفاظه على كينونة الإنسان وقيمته وإنسانيّته، طبعا مع مُراعاة ضوابط صارمة تخرجه من بيداء العبثيّة والعدوان إلى سعة السلام والإحسان والهداية والدعوة.

والسنّة إذ تؤكّد حتمية الصراع قانوناً كونيّا، فإنّها لا تحثّ عليه مطلقا إلاّ بضوابط معيّنة، ولا تجعله مقصدا بقدر ما تعدّه واقعاً يجب التفاعل الإيجابيّ معه وترشيده وتكريسه فيما تمليه العقيدة والإيمان لتحقيق الإنسانيّة الإسلاميّة. ولعلّ

١- أخرجه النسائي في سننه، كتاب الخيل، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة(١ / ٧٠٦) بهذا اللفظ وقال الألباني: «صحيح» (الألباني، صحيح النّسائي (٨ / ١٣٣)) وقال شعيب: «حسن» (أحمد، مسند الأمام أحمد، تح شعيب الأرناؤوط، (٢٨ / ١٦٦))

٢- خليل، عماد الدّين، التفسير الإسلامي للتاريخ، (٢٤٢)

٣- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ(١ / ١٠١)

ثقافة الصراع في العقيدة الإسلاميّة تتجاوز البشر إلى الشيطان والنفس التي تُعدّ عدوّا للجنس البشري، وعائقا أمام تحقيق مقتضيات الاستخلاف والقيام بواجب الإيمان والطاعة والإعمار لذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦].

٣- تعلّق نواميس قيام الحضارات وسقوطها بالقيم الإنسانيّة في منظور السنّة النّبويّة

أزاح الإسلام ثقافة شعب الله المختار الذي ينال الرّضا ولو بالخطأ والمعصية كما عند اليهوديّة تكريسا لشموليّة الإنسانيّة لكل من حقق شروطها، وأغرق في نوط النّجاح والفلاح بعمل الإنسان ذاته وإن كان ينتمي إلى العقيدة الصحيحة ظاهرا، بل جعل أساس الانتماء حصول المُقتضى في ذات البشر، وهو مسلك التّوفيق والرّيادة، ولذلك يأتي التهديد الإلهي للمسلمين بانهيار أمّتهم وسقوط رايتهم إن هم أخلّوا بقوانين التّاريخ التي هي ذاتها قوانين الإسلام، لهذا قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: «فَإِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَنَازَعُوا فِي أَنَّ عَاقِبَةَ الظُّلْمِ وَخِيمَةٌ وَعَاقِبَةُ الْعَدْلِ كَرِيمَةٌ وَلِهَذَا يُرْوَى: «اللَّهُ يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً وَلَا يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً [1]»، وهو من كمال العدل الإلهيّ الذي يجعل مصائر النّاس رهين أفعالهم، دون مفاضلة مسبقة بينهم، و تأسيس الإسلام على البعد الكونيّ مُلغيا بذلك الحواجز الجغرافيّة والتاريخيّة والعرقيّة وغيرها.

يبقى أهمّ ما يعنينا في هذا المبحث ليس مجرّد وجود قوانين لقيام الحضارات وسقوطها رصدتها السنّة النّبويّة، وإنّما تعلّق هذه القوانين بقيم إنسانيّة كونيّة تسعى إلى الحفاظ على الكينونة الإنسانيّة، ونوط تقدّمه الحضاري بالتزامه الإنساني، وتكريس مقوّمات الإنسانيّة.

١- ابن تيميّة، مجموع الفتاوى(١٦ / ٣١)

فنجد في هذه القوانين حديثاً عن الظّلم والنّصيحة وكشف الكرب والصبر وعدم المذلّة والعلم والاختلاف والرّكون إلى الدّنيا والمعاصي بشتى أنواعها وقطع الأرحام وغيرها، والملاحظ أنّ كُلّ هذه القوانين التي كشفت عنها السنّة النّبويّة تتماهى مع القيم الإنسانيّة الكونيّة، وكأنّي بالسنّة النبويّة تكشف لنا عن القانون الإلهي الذي يكرّس الإنسانيّة، وتجعلها ضمن مسمّى العبادة بما لها من طبيعة إلزاميّة وقداسة في النّفس الإنسانيّة عموماً، وفي الإسلام خصوصا، لذلك فالإنسان المسلم في ضوء التّشريع الإسلامي مطالب حسب تشريعات دينه بمراعاة القيم الإنسانيّة ليس فقط من منطلق كونها عبادة فقط، وإنّما باعتبارها سبيلاً لبناء الحضارات كما بيّن ذلك خالق الكون والإنسان ومسارات الحياة، وفيما يلي بيان تفصيلي لهذه القوانين الإنسانيّة النّبويّة:

الدّليل	القانون
قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-:«ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ» وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا. «وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا»(١)	الظّلم
قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-:«ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ» وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا . «وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا»(٢)	المسألة
قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»(٣)	ثقافة وحدة المصير
قَالَ رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ »(٤)	الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر
قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- : «اعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»(٥)	الصّبر

١- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الزّهد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-، باب ما جاء مثل الدّنيا مثل أربعة نفر (٤ / ١٥٣) بهذا اللفظ . وقال التّرمذي حسن صحيح.

٢- انظر التّخريج السّابق.

٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشّركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه (٣ / ١٣٩) بهذا اللفظ.

٤- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الفتن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٤ / ٤١) بهذا اللفظ. وقال: حسن.

٥- أخرجه أحمد في مسنده، مسند بني هاشم رضي الله عنهم، مسند عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب رضي الله عنهما (٢ / ٦٨٠) بهذا اللفظ. وقال شعيب: صحيح.

الكرب	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- : «اَعْلَمْ أَنَّ في الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»[١]
العسر	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- : «اَعْلَمْ أَنَّ في الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»[٢]
الاختلاف في الفروع البسيطة	خَرَجَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلّم- ذَاتَ يَوْم وَالنَّاسُ يَتَكَلَّمُونَ في الْقَدَرِ قَالَ : وَكَأَنَّمَا تَفَقَّأَ في وَجْهِهِ حَبُّ الرُّمَّانِ منَ الْغَضَبِ . قَالَ : فَقَالَ لَهُمْ : مَا لَكُمْ تَضْرِبُونَ كِتَابَ الله بَعْضَهُ بِبَعْضٍ ؟ بِهَذَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَالَ : فَمَا غَبَطْتُ نَفْسي بِمَجْلِسٍ فِيهِ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلّم- لَمْ أَشْهَدْهُ، بِمَا غَبَطْتُ نَفْسِي بِذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَنِّي لَمْ أَشْهَدْهُ[٣]
العلم	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ منَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[٤]
كثرة السؤال	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- : «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» [٥]
الاختلاف	عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلَّم- يَقْرَأُ خِلَافَهَا فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلّم- فَأَخْبَرْتُهُ فَعَرَفْتُ في وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ وَقَالَ كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ وَلَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا[٦]

١- انظر التّخريج السّابق.
٢- انظر التّخريج السّابق.
٣- أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص (٣/ ١٤٠٣). بهذا اللفظ. وهو حسن.
٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم (١ / ٣١) بهذا اللفظ، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزّمان (٨/ ٦٠) بمثله.
٥- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-، (٩ / ٩٤) بهذا اللفظ ومسلم في صحيحه، كتاب الحجّ، باب فرض الحجّ مرّة في العمر (٤ / ١٠٢) بمثله.
٦- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان (٤ / ١٧٥) بهذا اللفظ.

الرّكون إلى الدّنيا	عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ : وَرَأَى سِكَّةً وَشَيْئًا مِنْ آلَةِ الْحَرْثِ، فَقَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلّم- يَقُولُ : لَا يَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ إِلاَّ أُدْخِلَهُ الذُّلُّ[1]
ترك الزّكاة	قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ : «مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ قَطُّ، إِلاَّ كَانَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ، وَلَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، إِلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، وَلَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلاَّ حَبَسَ اللهُ عَنْهُمُ الْقَطْرَ»[2]
المعصية	قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّمَ : «مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ قَطُّ، إِلاَّ كَانَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ، وَلَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، إِلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، وَلَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلاَّ حَبَسَ اللهُ عَنْهُمُ الْقَطْرَ»[3]
الاستعفاف والاستغناء	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِه اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[4]
اتّباع القرآن والسنّة	قال -صلى الله عليه وسلّم-: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ : كِتَابُ اللهِ»[5]
الوهن وحب الدّنيا	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ : وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ، قَالَ : بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[6]

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحرث والمزارعة، باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزّرع (٣ / ١٠٣) بهذا اللفظ.

٢- أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الجهاد، ما نقض قوم العهد قط إلا كان القتل بينهم ولا ظهرت الفاحشة في قوم إلاّ سلط الله عليهم الموت (٢ / ١٢٦) بهذا اللفظ وقال: هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

٣- انظر التّخريج السّابق.

٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزّكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (٢ / ١٢٢) بهذا اللفظ.

٥- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجّة النّبيّ -صلى الله عليه وسلّم-(٤ / ٣٨) بهذا اللفظ وزاد مالك في الموطّأ «وسنّة نبيّه -صلى الله عليه وسلّم-» (مالك، الموطّأ، كتاب القدر، النّهي عن القول بالقدر (٣/ ١٣٢٢).

٦- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام (٤ / ١٨٤) بهذا اللفظ. وهو صحيح.

قطع الرّحم	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» (١)
دعاء المظلوم	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: «واتَّقِ دعوة المَظلوم فإنّهُ ليْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهَّ حجابٌ» (٢)
فتنة النّساء	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ. فِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ : لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» (٣)
القسوة	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: «من لا يرحم لا يُرْحَم» (٤)
الإعجاب بالنّفس	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ، إِذْ خُسِفَ بِهِ الْأَرْضُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» (٥)
إتلاف المال	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ» (٦)
ترك الجهاد	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ» (٧)

١- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق (٣/ ٥٦) بهذا اللفظ ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرّحم وتحريم قطيعتها (٨/ ٨) بمثله.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، (٢/ ١٢٨) بهذا اللفظ ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدّين والدّعاء إليه (١/ ٣٨) بنحوه.

٣- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنّة فقراء (٨/ ٨٩) بهذا اللفظ.

٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٨/ ٧) بهذا اللفظ ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمته -صلى الله عليه وسلّم- الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك (٧/ ٧٧٧) بنحوه.

٥- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء (٧/ ١٤١) بمعناه ومسلم في صحيحه كتاب اللباس والزّينة، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه (٦/ ١٤٨) بهذا اللفظ.

٦- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب في الاستقراض، باب من أخذ أموال النّاس يريد أداءها أو إتلافها (٣/ ١١٥) بهذا اللفظ.

٧- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الإجارة، باب في النّهي عن العينة (٣/ ٢٩١) بهذا اللفظ.

التبايع بالعينة	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[1]
الجماعة	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: «يَدَ اللهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ»[2]
الحدود	قالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلّم-: «حَدٌّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الْأَرْضِ، خَيْرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»[3]
طلب الإمارة	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ، وَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ»[4]
الفاحشة	قال رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا...»[5]
السّفاهة	الحديث السّابق

١- انظر التّخريج السّابق.
٢- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الفتن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٤ / ٣٩) بهذا اللفظ. وقال: حديث غريب.
٣- أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الحدود، باب إقامة الحدود (٣ / ٥٧٥) وهو حسن.
٤- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب: قول الله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم (٨ / ١٢٧) بهذا اللفظ ومسلم في صحيحه،كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها أن يأتي الذي هو خير ويكفر عن يمينه (٥ / ٨٦) بنحوه.
٥- أخرجه ابن حبّان في سننه، أبواب الفتن، باب العقوبات (٥ / ١٤٩) بهذا اللفظ وهو حسن.

فكلّ هذه القوانين الكونيّة المرصودة في السنّة النبويّة، والتي كشف عنها الإسلام باعتبارها محرّكات للتاريخ، تكرّس الإنسانيّة في أعظم تجلّياتها، فكأنّ السنّة النّبويّة تقول في فهمها للكون بأنّ الخالق جعل قوانين التّاريخ مسكونة بما يحافظ على إنسانيّة الإنسان، وأنّ التّاريخ - وفق النّظرة الإسلاميّة - جاء لينصف الإنسانيّة، فما فائدة أن يكون الظّلم مدعاة لسقوط الحضارة والاختلاف مدعاة لانهيار المجتمع والفاحشة مدعاة للأمراض والأوبئة إلاّ طلبا للحفاظ على الإنسانيّة من خلال أعظم مؤثّر وهي قوانين الحياة، وكان دور السنّة النّبويّة أن كشفت عن هذه القوانين المكرّسة للإنسانيّة والمعروضة في الجدول السابق، وكلّ قارئ لها يدرك تعلّقها بالحفاظ على إنسانيّة الإنسان إمّا في بعده الحضاري أو في كيانه المادّي أو في تكوينه الهَوَوي أو في تميّزه البشري أو غير ذلك من خصائص الإنسان الواجب تحقّقها.

الخاتمة

انتهيت في هذا البحث إلى جملة من النّتائج المُهمّة في بابها، أبرزها:

١- تميّز البناء الاجتماعي الإسلامي عن غيره من المقاربات الاجتماعيّة الغربيّة.

٢- قيام البناء الاجتماعي في السنّة النّبويّة على إبراز إنسانيّة الإنسان وتكريمه وإعلاء شأنه.

٣- تعدّد مظاهر إنسانيّة الإنسان في القراءة الإسلاميّة للتّاريخ من خلال السنّة النّبويّة.

٤- نوط السنّة لقوانين قيام الحضارات بالقيم الإنسانيّة بما يحثّ على تكريس الإنسانيّة.

٥- تفعيل الخطاب النّبوي للدّور الاجتماعي والتّاريخي للإنسان، وأنّ هذا التّفعيل أساس تحصيل مقتضيات الإنسانيّة الحقيقيّة.

٦- صياغة السنّة النّبويّة للخطاب الإنساني انطلاقاً من المعطى الاجتماعي والتاريخي.

٧- ثراء السنّة النّبويّة بالمعاني الإنسانيّة الكونيّة.

٨- صياغة السنّة النّبويّة لمفهوم إنسانيّة الإنسان في السنّة النّبويّة من خلال رصد التّطبيقات وحشد التّجلّيات.

٩- مركزيّة المعطى الأخلاقي في تحقيق إنسانيّة الإنسان من خلال السنّة النّبويّة.

١٠-أهمّيّة تداخل العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة في معالجة قضيّة إنسانيّة الإنسان من خلال السنّة النّبويّة.

وفي هذا المقام، أوصي بـ:

١- تفعيل التّداخل المعرفي في معالجة القضايا من خلال السنّة الاجتماعيّة.

٢- إطلاق مشروع «معجم المصطلحات الإنسانيّة في السنّة النّبويّة» وتقسيمها حسب مجالات تكريسها كالمعطى الاجتماعي والمعطى التّاريخي والمعطى الأخلاقي.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تح البرّاك، دار طيبة، ط١، ٢٠٠٥.
- أزمة العقل المسلم، عبد الحميد أبوسليمان، ط١، ١٩٩٠.
- أسلمة المعرفة – المبادئ العامة – خطة العمل – الانجازات، إسماعيل راجي الفاروقي، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ط١، ١٩٩٥.
- براهين وجود الله، العامري، سامي، مركز تكوين، الرّياض، ط١، ٢٠١٧.
- التّأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع: مقاربة في إسلاميّة المعرفة، عبد الحليم، مهور، إشراف ميلود سفاري، جامعة السّطيف، الجزائر، ٢٠١٣-٢٠١٤، رسالة دكتوراه.
- التفسير الإسلامي للتاريخ، خليل، عماد الدّين، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١.
- التوحيد مضامينه على الفكر والحياة، إسماعيل راجي الفاروقي، ترجمة: السيد عمر، سنة، د.ط، ٢٠١٠، ص.٨٩.
- درء تعارض العقل والنّقل، ابن تيميّة، جامعة الإمام محمّد بن سعود، السعوديّة، ط١، ١٩٩١.
- دستور الأخلاق، الدّرّاز، محمّد، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.
- سنن ابن ماجه، ابن ماجه، تح شعيب الأرناؤوط، دار الرّسالة العالميّة، بيروت، ط١، د.ت.ط
- سنن أبي داود، أبو داود، تح محي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، بيروت، سنة، ط١
- سنن التّرمذي، التّرمذي، تح بشّار عوّاد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- صحيح البخاري، البخاري، دار طوق النّجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، مسلم، تح فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة، بيروت، ط١، د.ت.ط
- علم الاجتماع ، غِدنز، أنتوني، ترجمة فايز الصُّيَّاغ، المنظّمة العربيّة للتّرجَمَة، لبنان، ط٤، ٢٠٠٥.
- فلسفة التاريخ، النشاز، مصطفى، شركة الأمل، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

- قواعد في المنهج، دوركايم، إميل، ترجمة الدّكتور محمود قاسم، دار القاهرة، مصر، ط٢.
- مجموع الفتاوى، ابن تيميّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠١١.
- مختصر دراسة للتاريخ، توينبي، ترجمة فؤاد شبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م، ط١.
- المستدرك، الحاكم، تح مصطفى عبد القادر عطا، ط العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ
- مسند الإمام أحمد، أحمد، ط المكنز والمنهاج، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ

United Arab Emirates
Al Wasl University - Dubai
College of Islamic Studies

Al-Mawel Journal

Specialized in Islamic Studies

A Peer Reviewed Journal - Annual

Issue No. 2

2023 CE - 1445 H